سلسلة المشاهير (١٠)

أشهر الخلفاء العباسيين

هارون الرشيد، المأمون، المعتصم بالله

إعداد

مصطفى أحمد علي



بسم الله الرحمن الرحيم

رفع العباسيون راية الجهاد في سبيل الله ، حتى امتدت الدولة الإسلامية في عهدهم إلى حد بعيد .

وامتاز العصر العباسي الأول بالقوة والاتساع ، لقوة خلفائه : عبد الله السفاح ، وعبد الله المنصور ، ومحمد المهدي ، وموسى الهادي ، وهارون الرشيد ، ومحمد الأمين ، وعبد الله المأمون ، ومحمد المعتصم ، وهارون الواثق ، وجعفر المتوكل ، ومحمد المنتصر ، وأحمد المستعين ، ومحمد المعتز ، ومحمد المهتدي ، وأحمد المعتمد .

ثم كان عصر سيطرة العسكريين الترك ثم عصر سيطرة السلاجقة ، حتى نهاية الخلافة على يد التتار .

وقد عمل الشيعة على تشويه التاريخ العباسي الذي قام بخدمة الإسلام وعمل على رفع رايته حيث ظهرت عزة الإسلام وكرامته في عصره .

وفي هذا الكتاب ترجمة لأشهر خلفاء بني العباس .

هارون الرشيد

مولد الرشيد :

في مدينة " الري " ، تلك المدينة القديمة التي تقع في الجنوب الشرقي من طهران ، ولد هارون الرشيد بن المهدي بن جعفر المنصور في أواخر ذي الحجة سنة ١٤٨ هـ ، وكان أبوه " المهدي " في تلك الأيام أميراً على الري وخراسان من قبل الخليفة المنصور ، ثم أصبح خليفة للمسلمين بعد وفاة أبيه المنصور .

أمير الصوائف والشواتي :

نشأ هارون الرشيد تحيطه رعاية والده الذي دربه منذ حياته المبكرة على الحياة العسكرية ، فجعله أميراً لحملة عسكرية كانت تسمى بالصوائف ، وكانت تخرج للجهاد في الصيف ، وأميراً على أخرى تسمَّى الشواتي نسبة إلى الشتاء لتهديد العدو البيزنطي وتخويفاً له ، وولاه المغرب كله ، ثم عينه والده ولياً للعهد بعد أخيه الهادي .

الخليفة الرشيد :

تولى الرشيد خلافة المسلمين سنة ١٧٠ هـ ، وأصبحت بغداد في عصره من أعظم مدن الدنيا، فريدة في حضارتها وعمارتها ، وشمل بعدله القوي والضعيف والعاجز والمريض وذا الحاجة .

وازدهرت فترة ولايته بوجود الكثير من أئمة العلم العظام كالإمام مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، والكسائي ، ومحمد بن الحسن ، وهم من كبار أصحاب أبي حنيفة .

أخلاق الخليفة :

كان يُضرب المثل بهارون الرشيد في التواضع ، يحكى أن أبي معاوية الضرير وهو من العلماء المحدثين ، قال : أكلت مع الرشيد ثم صب على يدي الماء رجل لا أعرفه ، فقال الرشيد : تدري من صب عليك ؟ قلت : لا . قال : أنا ، إجلالا للعلم .

وجاوزت خشيته من الله الحدود ، فكان جسده يرتعد ، ويسمع صوت بكائه إذا وعظه أحد من الناس ، يحكى أنه جالس " أبا العتاهية " الشاعر ، وكلف أحد جنوده بمراقبته ، وإخباره بما يقول، فرآه الجاسوس يوماً وقد كتب على الحائط :

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله يجتمع الخصوم

فأخبر الجاسوس الرشيد بذلك ، فبكى ، وأحضر أبا العتاهية ، وطلب منه أن يسامحه ، وأعطاه ألف دينار .

وكان هارون كثير الغزو والحج ، يغزو سنة ويحج سنة ، فإذا حجَّ حجَّ معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحج قام بالإنفاق على ثلاثمائة رجل ليؤدوا الحج .

وكان كثير البكاء ، تسيل دموعه كالسيل إذا وعظ . وكان يصلي كل يوم مائة ركعة ، ويتصدق من ماله الخاص بألف درهم ، وبالغ في احترام العلماء والوعاظ .

شجاعة الخليفة :

ورغم هذه الرقة والشفافية والزهد ، كان شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم ، غيوراً على دينه، صلباً كالحديد في وجه أعداء الله ، ففي سنة سبع وثمانين ومائة (١٨٧ هـ) نقض ملك الروم الهدنة التي كانت بين المسلمين وبين الملكة " ذيني " ملكة الروم ، فكتب للرشيد كتاباً يقول فيه : " أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ (طائر ضخم خيالي) ، وأقامت نفسها مقام البيدق (الطائر الصغير) ، فحملت إليك من أموالها أحمالاً لضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها وإلا فالسيف بيني وبينك " .

فلما قرأ الرشيد رسالته كتب إليه : " قد قرأت كتابك والجواب ما ترى لا ما تسمع " . وسار إليه بجيش كبير حتى فتح مدينة " هرقل " وانتصر عليه انتصاراً عظيماً .

وفي عهده لم يبقَ في الأسر مسلم ، وظل طيلة حياته يحب الجهاد والفتوحات الإسلامية ، فغزا الروم ، وفتح هرقلة ، وبلغ جيشه أنقره ، وسار الرشيد نحو خراسان ليغزوها ، فوصل " طوس " فمرض بها ومات في ثالث جمادى الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة (١٩٣ هـ) .

المأمون بن الرشيد

يوم الخلفاء :

اليوم يوم الخلفاء . . فقد مات خليفة ، وتولى خليفة ، وولد خليفة ، أما الذي مات فهو الخليفة " موسى الهادي " ، وأما الذي تولى الخلافة فهو هارون الرشيد ، أما الخليفة الذي ولد فهو المأمون ، وكان هذا اليوم في سنة ١٧٠ هـ .

كان المأمون أول غلام يولد للرشيد ، وللطفل الأول غالباً في نفس والده قدر من الإعزاز والمحبة ؛ لذلك ظل الرشيد يحب المأمون ويؤثره كل الإيثار ، خاصة أنه فقد أمه " مراجل " التي ماتت بعد ولادته بأيام قليلة ، فنشأ محروماً من عطف الأم .

المأمون العالم :

وكان الرشيد معجباً بذكاء ابنه وانصرافه إلى العلم ، فحين دخل على المأمون وهو ينظر في كتاب ، قال له : ما هذا ؟ فأجاب المأمون : كتاب يشحذ الفكرة ، ويحسن العشرة . فقال الرشيد : الحمد لله الذي رزقني من يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه .

رحلة التعلم :

تلقى المأمون العلم على خيرة علماء عصره ، فتلقى علم العربية على يد الكسائي ، أحد علماء الكوفة المشهورين في القراءات والنحو واللغة ، وتلقى دروس الأدب على يد أبي محمد اليزيدي وهو واحد من خيرة علماء عصره .

ودرس المأمون الحديث حتى صار واحداً من رواته ، وسمع منه كثيرون ورووا عنه ، وقد ساعدته على رواية الحديث ذاكرته القوية الحافظة التي كانت مضرب المثل .

من الخليفة :

ولما جاء الوقت لكي يختار الرشيد خليفة للمسلمين من بعده ، كان في حيرة من أمره ، فقد كان في قرارة نفسه يحب المأمون ، ويثق في قدرته على تحمل أعباء الحكم بعده ، إلا أن رأيه استقر أخيراً على أن يكون الأمين وليّا للعهد ، ثم جعل المأمون وليّا للعهد بعد أخيه .

وبعد موت هارون الرشيد أخذ الأمين البيعة من الناس بالخلافة ، ثم أرسل إلى المأمون يدعوه للسمع والطاعة ، فأعلن المأمون ولاءه وطاعته لأخيه ، غير أن بطانة السوء نجحوا في جعل الأمين

يحول ولاية العهد إلى ابنه بدلاً من أخيه المأمون ، لكن المأمون رفض هذا الأمر واستطاع بمعاونة وزيره الفضل بن سهل وأكبر قواده طاهر بن الحسين أن يصبح خليفة للمسلمين .

عصر العلماء :

امتاز عصر المأمون بأنه كان غنيّا بالعلماء الكبار في كل فروع المعرفة ، من أمثال : الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وسفيان بن عيينة ، والفَرَّاء ، وغيرهم من كبار العلماء ، وكان يعمل على تشجيع العلماء ، فأرسل البعوث إلى القسطنطينية واليونان والهند وأنطاكية ، وغيرها للبحث عن مؤلفات علماء اليونان وترجمتها إلى اللغة العربية ، وكان يسعى إلى إحضار العلماء الأجانب للاستفادة بعلمهم وخبرهم ، حتى أصبحت بغداد في عصره منارة للعلم .

واهتم المأمون بالشعر اهتماماً كبيراً ، فكان يعقد مجالس تُنْشَدُ فيها الأشعار ، و لم يكن المأمون يحب الشعر فحسب ، بل كان شاعراً رقيق المشاعر ؛ ومن شعره في وصف الصديق المخلص :

إنَّ أَخَاكَ مَنْ يَسْعَى مَعَكْ ... وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ إذا صَرْفُ الزَّمان صدَّعَكْ ... بدَّدَ شَمْلَ نفسه لِيَنْفَعَكْ

واشتهر المأمون بكرمه الواسع ، وكان يقول : سادة الناس في الدنيا الأسخياء .

الظلم الأخرس :

وكان حريصاً كل الحرص على قراءة كل الشكاوى والمظالم التي تصل إليه ، يحققها بنفسه ، وينصف المظلوم من الظالم . تقدمت إليه امرأة تشكو ابنه العباس ، فطلب من وزيره أحمد بن أبي خالد ، أن يأخذ بيد العباس ، ويجلسه مع المرأة مجلس الخصوم ، وارتفع صوت المرأة وأخذ يعلو على كلام العباس ، فقال لها أحد بن أبي خالد : يا أمة الله ، إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك .

فقال المأمون : دعها يا أحمد فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه . ثم قضى لها بحقها وأمر لها بنفقة .

وعنف المأمون واحداً من رجال حاشيته ظلم رجلاً فارسيّاً ، فقال له : والله لو ظلمت العباس ابني كنت أقل نكيراً عليك من أن تظلم ضعيفاً لا يجدني في كل وقت .

صاحب العفو :

وكان المأمون متسامحاً ، يعفو عمن ظلمه أو ناله بسوء ، حتى إنه يقول : أنا والله ألذ العفو حتى أخاف أن لا أُوْجَر عليه ، ولو عرف الناس مقدار محبتي للعفو ، لتقربوا إليَّ بالجرائم . ويقول أيضاً : وددت أن أهل الجرائم عرفوا رأيي في العفو ليذهب عنهم الخوف ويخلص السرور إلى قلوبهم ، لكنه وإن كان متسامحاً في حق نفسه فإنه لم يكن يتهاون في حق الدين أو الدولة .

اللين الحليم :

كان المأمون ليناً مع الناس حليماً رفيقاً . يذكر عبد الله بن طاهر وهو واحد من رجاله المقربين، قال : كنت عند المأمون فنادى بالخادم : يا غلام ! فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانياً وصاح : يا غلام ! فدخل غلام تركي وهو يقول : ما ينبغي للغلام أن يأكل ولا يشرب ؟!

كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام ، إلى كم يا غلام ؟ فنكس المأمون رأسه طويلا فما شككت أن يأمرني بضرب عنقه ، ثم نظر إليَّ ، وقال : يا عبد الله إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ، ساءت أخلاق خدمه ، وإذا ساءت أخلاقه ، حسنت أخلاق خدمه ، وإنا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا ، لتتحسن أخلاق خدمنا .

جامع الفضائل :

إلى جانب هذا الحلم الواسع كان المأمون جامعاً لكثير من الفضائل ، من ذلك تواضعه الشديد لكل من يعرفه ، ولقد كان قاضيه يحيى بن أكثم في ضيافته ، فقام الخليفة المأمون بإحضار ماء له ، فاندهش يحيى من ذلك ، فكيف يأتي له أمير المؤمنين بالماء ويخدمه وهو جالس في مكانه ! ! فلما رأى المأمون علامات الاستفهام على وجه يحيى قال له : سيد القوم خادمهم .

الخليفة العالم :

وعُرِفَ المأمون بذكائه ، وكثرة علمه ، فقد جاءته امرأة ، وقالت له : مات أخي ، وترك ستمائة (٦٠٠) دينار ، فأعطوني ديناراً واحداً ، وقالوا : هذا ميراثك من أخيك . ففكر المأمون وقال : أخوك ترك أربع بنات . قالت : نعم . قال : لهن أربعمائة (٤٠٠) دينار (ثلث الميراث) قالت : نعم . قال : ترك أمّا ؟ قالت : نعم . قال : فلها مائة (١٠٠) دينار (سدس الميراث) ، وترك زوجة . قالت : نعم . فقال : لها خمسة وسبعون (٧٥) ديناراً (ثمن الميراث) . ثم سألها : بالله ألك اثنا عشر (١٢) أخاً ؟ قالت : نعم . قال : لكل واحد ديناران ، ولك دينار .

وكان المأمون رجاعاً إلى الحق ، فقد أمر أن ينادى بإباحة نكاح المتعة ، فدخل عليه يحيى بن أكثم ، فذكر له حديث علي – رضي الله عنه – بتحريمه ، فلما علم صحة الحديث ، رجع إلى الحق، وأمر أن ينادى بتحريمه . وقامت في عهده عدة حروب ، فقضى على بعض الثورات ، كما جاهد الروم وحاربهم .

ولما أحس بدنو أجله قال : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ، يا من لا يموت ارحم من يموت .

ومات المأمون وهو في الثامنة والأربعين من عمره في مدينة " طرطوس " سنة ٢١٨ هـ .

المعتصم بالله

الخليفة المثمن :

هو أبو إسحاق محمد بن هارون الارشيد ، الذي عرف بالمعتصم بالله ، ولد سنة ١٨٠ هـ ، وكان يقال له المثمن ؛ لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس ولأنه استمر في ملكه ثماني سنين وفتح ثمانية فتوح ، وأسر ثمانية ملوك .

عزة الإسلام :

كان المعتصم شجاعاً ، كتب إليه ملك الروم يهدده ، فأمر أن يقرءوا له رسالته ، فلما قرأها أمر برميها ، وقال للكاتب : اكتب . . " أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وسمعت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع (**وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ**) .

وكانت له فتوحات كثيرة في سبيل الله . قيل : إنه لما أراد غزو " عمورية " زعم المنجمون أنه لن ينتصر ، وطلبوا منه ألا يخرج ، ولكنه خرج وانتصر بإرادة الله .

وقد بلغه أن ملك الروم أغار على بلاد الإسلام ، وأن امرأة مسلمة صاحت وهي في أيدي جند الروم : " وامعتصماه ! " فأجابها على الفور وهو جالس على سرير ملكه " لبيك لبيك ! ! " وجهز جيشاً عظيماً ليثأر لكرامة امرأة مسلمة أهانها أعداء الله ! !

أخلاق المعتصم :

وكان المعتصم كريم الخلق ، متواضعاً ، يحكى عنه أنه رأى شيخاً معه حمار عليه حمل شوك ، وقد وقع الحمار وسقط الحمل ، والشيخ قائم ينتظر من يساعده ، فنزل المعتصم عن دابته ، ورفع على الحمار حمله وأمر أصحابه أن يسيروا مع الشيخ ليعينوه .

كما كان المعتصم سخياً ، فقد تصدق المعتصم ، ووهب ما قيمته ألف ألف درهم .

آخر الكلمات :

وفي عهده كثر العمران ، وبنيت القصور ، وارتفع البنيان . وقد مرض المعتصم فأخذ يقول : ذهبت الحيلة ، فليس حيلة . ولقى ربه في سنة ٢٢٧ هـ بعد حياة حافلة بالأعمال النافعة للمسلمين.

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة هذا الجيل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.



منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com

سلسلة المشاهير (٩)

أشهر الخلفاء الأمويين

معاوية بن أبي سفيان، عبد الملك بن مروان
عمر بن عبد العزيز

إعداد

محمد محمود القاضي



بسم الله الرحمن الرحيم

بيت أمية هم بيت عز وشرف وسيادة في قريش ، و لم يكن عجيباً أن تسير الأقدار ليكونوا هم أصحاب الخلافة بعد الراشدين ؛ وذلك لأن الأمة كانت تحتاج إلى حماة يصدون عنها هجمات الأعداء ، حيث رفع خلفاء بني أمية راية الجهاد ، وكان الجهاد هو أول الملامح في دولتهم ، ولقَّنوا أعداء الإسلام درساً لا يُنسى .

وكفى بني أمية فخراً أن منهم معاوية بن أبي سفيان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين ، وعبد الملك بن مروان الفقيه الإمام ، وغيرهم من الخلفاء ؛ كسليمان بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، ويزيد بن عبد الملك .

هذا وقد ابتليت الدولة الأموية في آخر أيام حياتها بالضعف والوهن ، وانشغل الولاة بالدنيا ، فقامت على أنقاضها دولة الخلافة العباسية .

معاوية بن أبي سفيان

هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية ، أمه هند بنت عتبة ، قيل : إنه أسلم قبل أبيه ، و لم يظهر إسلامه إلا يوم الفتح ، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض الإمارات ، وكان واحداً من كتاب الوحي الذين استأمنهم الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابته.

علامات النجابة :

ظهرت عليه علامات النجابة والذكاء منذ الصغر ، فقد كان يمشي مع أمه هند – وهو صغير – فعثر ، فقالت : لا رفعك الله . وأعرابي ينظر ، فقال : لِمَ تقولين له ؟ إني لأظنه سيسود قومه . قالت : لا رفعه إن لم يَسُدْ إلا قومه . وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً : " اللهم اجعله هادياً مهدياً ، واهدِ به " [الترمذي] .

جهاد معاوية :

أسلم معاوية ودخل الإيمان قلبه ، وراح يدافع عن الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان يجاهد تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان ، وكان من فضلاء الصحابة ، وظل يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وهو عنه راضٍ ، وكان نعم الجندي لأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – .

بداية الفتنة :

في عهد عثمان – رضي الله عنه – ولاه الشام ، وظل عليها حتى استُشهد عثمان ، وتولى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وطلب من معاوية البيعة ، فوافق بشرط أن يأخذ بدم عثمان ، فطلب عليّ التمهل حتى يستقر الأمر ، ولكن بعض المنافقين ما زالوا بين معاوية وعليٍّ حتى وقعت الفتنة .

ولعب المنافقون دوراً بارزاً في الفتنة ، فقامت حرب صفين والجمل ، وراح ضحيتها بعض الصحابة كطلحة والزبير – رضي الله عنهما – وحدث أن اختير معاوية خليفة للمسلمين ، وخُلِع علي .

وفي آخر أيام الفتنة خرج ثلاثة من شباب الخوارج ، وتواعدوا على قتل مَنْ ظنوا أنهم السبب المباشر في تلك الفتن وهم : عليّ ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص . فأما معاوية وعمرو فنجيا ، وأُصيب عليٌّ في رأسه إصابة بالغة ، وكان ذلك في سنة (٤٠ هـ) .

ثم تنازل الإمام الحسن بن علي – رضي الله عنهما – عن الخلافة رسمياً لمعاوية – رضي الله عنه – فكانت بداية الخلافة الأموية ، وتفرغ معاوية للجهاد ، وثبت أركان الدولة ، واهتم بالأُسطول البحري ، وكان مضرب المثل في الحلم ، حتى قيل : أحلم من معاوية .

وفاته :

لما حضرت معاوية الوفاة ، قيل : ألا توصي ؟ فقال : اللهم أَقِلِ العَثّرَة ، واعفُ عن الزلة ، وتجاوز بحلمك عن جهل مَن لم يرج غيرك ، فما وراءك مذهب .

وتوفي معاوية – رضي الله عنه – سنة (٦٠ هـ) بعد أن أخذ البيعة لابنه يزيد .

عبد الملك بن مروان

في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولد " عبد الملك بن مروان " في سنة ٢٤ هـ في أول عام من خلافة " عثمان بن عفان " رضي الله عنه ، وحفظ القرآن الكريم ، وسمع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه عثمان بن عفان ، وأبي هريرة ، وأم سلمة ، ومعاوية ، وابن عمر — رضي الله عنهم أجمعين — .

وكان عبد الملك في طفولته المبكرة يسأل أباه وعمه ومن حوله من الصحابة عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيجيبونه بما يثير دهشته ، ويزيد من إعجابه بعظمة الإسلام ، ولكنه وهو في العاشرة من عمره رأى مقتل خليفة المسلمين : " عثمان بن عفان " ، فحزن لذلك ، لكنه تعلم أن يتعامل مع المعتدين والمشاغبين بالقوة والحزم .

الخليفة الفقيه :

لازم عبد الملك الفقهاء والعلماء حتى صار فقيهاً ، سئل ابن عمر — رضي الله عنه — ذات مرة في أمر من أمور الدين فقال : " إن لمروان ابناً فقيهاً فسلوه " .

توليه الخلافة :

خرج عبد الملك من المدينة في ربيع الآخر سنة ٦٤ هـ عند حدوث الفتنة واضطراب الأمر بالشام وظهور عبد الله ابن الزبير بمكة والحجاز وإعلان نفسه خليفة للمسلمين ، ولم تكد تمض ستة أشهر حتى تولى أبوه مروان الخلافة ، لكنه لم يستمر سوى عشرة أشهر حتى توفى ، فخلفه في رمضان من عام ٦٥ هـ عبد الملك بن مروان ، وأقبل عليه كبراء بني أمية وأمراء الجنود ورؤساء القوم وكبار رجال الدولة فبايعوه .

وحين تولى عبد الملك خلفاً لأبيه لم يكن في يده غير الشام ومصر فقط ، وكانت الأخطار تحيط بدولته من كل جانب في الداخل ، ووجد الدولة الإسلامية منقسمة تسودها الفتن والاضطرابات ، فهناك ابن الزبير في الحجاز ، ودولة بني أمية في الشام ، والخوارج الأزارقة بالأهواز ، والخوارج " النجدات " بجزيرة العرب ، والشيعة بالكوفة في العراق ، وفي الخارج كانت الروم تكيد له ، وتنتهز فرصة الانقسام لتغير على الحدود في الشمال والغرب ، وكانت هناك تهديدات من كل اتجاه ، فأدرك " عبد الملك " أنه لا بد من توحيد الجهود الإسلامية ضد الأعداء ، وبدأ في تجهيز الجيوش ، وأحسن معاملة قواده وحاشيته ، فكان يكرمهم ، ويعطف عليهم ، ويزورهم إذا مرضوا ، ويحضرهم مجالسه ، ويعاملهم كأصدقاء ، فكان ذلك من أكبر عوامل نجاحه وانتصاره .

عام الوحدة :

بحلول عام ٧٤ هـــ اجتمعت كلمة الأمة بعد خلاف طويل ، وانتهى التراع حول الخلافـــة ، وسمى هذا العام بعام الوحدة ، وتمت البيعة لعبد الملك من الحجاز والعراق ، كما تمت له من قَبْلُ في الشام ومصر ، وكذلك خراسان .

واستردت الدولة الإسلامية مكانتها وهيبتها وسيادتها على الأعداء ، واستعت حدودها بعد أن أضاف إليها عبد الملك أقاليم جديدة ؛ حيث أرسل جنوده ففتحوا بعض بلاد المغرب وتوغل فيها .

سياسة الحزم :

واتبع عبد الملك سياسة الحزم والشدة ، فكان قوي الإرادة والشخصية ، لذلك قالوا : " كان معاوية أحلم وعبد الله أحزم " . وقال أبو جعفر المنصور : كان عبد الملك أشدهم شكيمة وأمضاهم عزيمة .

صاحب النزاهة :

وكان عبد الملك حريصاً على نزاهة من يعملون في دولته ، فقد بلغه ذات يوم أن أحد عماله قبل هدية ، فأمر بإحضاره إليه ، فلما حضر قال له : أقبلتَ هدية منذ وليتك ؟ قال : يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفورة ، ورعيتك على أفضل حال . قال : أجب عما سألتك . قال : نعم قد قبلت . فعزله عبد الملك .

و لم يكن عبد الملك رجل سياسة فحسب ، ولكنه كان أديباً يحب الأدباء ، ويعقـــد المجـــالس الأدبية ، وينتقد ما يُلْقَى عليه من الشعر انتقاداً يدل على ذوق أدبي رفيع .

براعة الإرادة :

أظهر عبد الملك براعة في إدارة شئون دولته وتنظيم أجهزتها مثلما أظهر براعة في إعادة الوحدة إلى الدولة الإسلامية ، فاعتمد على أكثر الرجال في عصره مهارة ومقدرةً وأعظمهم كفاءةً وخبرةً ، مثل : الحجاج بن يوسف الثقفي ، وبشر بن مروان ، وعبد العزيز بن مروان . وتفقد عبـــد الملـــك أحوال دولته بنفسه وتابع أحوال عماله وولاته وراقب سلوكهم ، وأنجز أعمالاً إدارية ضخمة دفعت بالدولة الإسلامية أشواطاً على طريق التقدم ، فهو أول من ضرب الدنانير وكتب عليهـــا القـــرآن ، فكتب على أحد وجهي الدنانير " **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ** " ، وكتب على الوجه الآخر : محمد رســـول الله أرسله بالهدى ودين الحق .

ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية ، وهو ما يُعرف في التاريخ بحركة تعريب الدواوين .

رقة المشاعر :

ورغم شدة وحزم عبد الملك فإنه كان رقيق المشاعر ، يخشى الله ويتضرع إليه ، خطب ذات مرة ، فقال : " اللهم إن ذنوبي عظام ، وهي صغار في جنب عفوك يا كريم ، فاغفرها لي " .

وفاته :

قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة قيل له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدني كما قال الله تعالى : (**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**) [الأنعام : ٩٤].

ومات عبد الملك سنة ٨٦ من الهجرة ، وعمره ستون سنة ، وصلى عليه ابنه الوليد .

عمر بن عبد العزيز

رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رؤيا ، فقام من نومه يردد : مَنْ هذا الاشجُّ من بني أمية ، ومِنْ ولد عمر يُسَمى عمر ، يسير بسيرة عمر ويملأ الأرض عدلاً .

ومرت الأيام ، وتحققت رؤيا أمير المؤمنين ، ففي منطقة حلوان بمصر حيث يعيش والي مصر عبد العزيز بن مروان وزوجته ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولد عمر بن عبد العزيز سنة ٦١هـ .

التربية الصالحة :

حفظ عمر بن عبد العزيز القرآن الكريم ، وظهرت عليه علامات الورع وأمارات التقوى ، حتى قال عنه معلمه صالح بن كيسان : ما خَبَرْتُ أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام . وقد فاجأته أمه ذات يوم وهو يبكي في حجرته ، فسألته : ماذا حدث لك يا عمر ؟ فأجاب : لا شيء يا أماه ، إنما ذكرتُ الموت . فبكت أمه .

وكان معجباً إعجاباً شديداً بعبد الله بن عمر – رضي الله عنه – ، وكان دائماً يقول لأمه : تعرفين يا أماه لأكونن مثل خالي عبد الله بن عمر .

حياة الشباب :

كان عمر نحيف الجسم أبيض الوجه حسن اللحية . وتمضي الأيام والسنون ليصبح عمر بن عبد العزيز شابّاً فتيّا ، يعيش عيشة هنيئة ، فقد ورث عمر عن أبيه الكثير من الأموال والمتاع والدواب ، وبلغ إيراده السنوي ما يزيد على الأربعين ألف دينار ، وزوَّجه الخليفة عبد الملك بن مروان ابنته فاطمة ، وكان عمر – رضي الله عنه – وقتها في سن العشرين من عمره ، فازداد غنىً وثراءً .

والي الحجاز :

لما بلغ عمر بن عبد العزيز الخامسة والعشرين ، اختاره الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ليكون والياً على المدينة وحاكماً لها ، ثم ولاه الحجاز كله ، فنشر الأمن والعدل بين الناس ، وراح يعمر المساجد ، بادئاً بالمسجد النبوي الشريف ، فحفر الآبار ، وشق الترع ، فكانت ولايته على مدن الحجاز كلها خيراً وبركة ، شعر فيها الناس بالأمن والطمأنينة ، واتخذ عمر بن عبد العزيز مجلس

شورى من عشرة من كبار فقهاء المدينة على رأسهم التابعي الجليل " سعيد بن المسيِّب " ، فلم يقطع أمرا بدونهم ، بل كان دائماً يطلب منهم النصح والمشورة .

عهد جديد :

ظل عمر بن عبد العزيز في ولاية المدينة ست سنوات إلى أن عزله الخليفة الوليد بن عبد الملك لأن الحجاج أفهمه أن عمر أصبح يشكل خطراً على سلطان بني أمية .

ذهب عمر إلى الشام ومكث بها إلى أن مات الوليد بن عبد الملك ، وتولى الخلافة بدلاً منه أخوه سليمان بن عبد الملك ، وكان يحب عمر ويعتبره أخاً وصديقاً ويأخذ بنصائحه . وذات يوم ، مرض الخليفة مرض الموت ، فاستشار وزيره الصالح رجاء بن حيوة ، فرشح له عمر ليكون خليفة للمسلمين ، فرضي سليمان بذلك .

أمانة المسلمين :

تولى عمر الخلافة يوم الجمعة ، العاشر من صفر سنة ٩٩ هـ . ويومها جلس حزيناً مهموماً ، وجاء إليه الشعراء للتهنئة ، فلم يسمح لهم ، وقال لابنه : قل لهم : (**إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**) [يونس : ١٥] .

أولى قرارات الخلافة :

ومنع نفسه التمتع بأمواله ، وجعلها لفقراء المسلمين ، وتنازل عن أملاكه التي ورثها عن أبيه ، ورفض أن يأخذ راتباً من بيت المال . كما جرَّد زوجته – فاطمة بنت الخليفة عبد الملك بن مروان – ، من حُلُيِّها وجواهرها الثمينة ، وطلب منها أن تعطيها لبيت المال ، كما رد كل أموال بني أمية لأصحابها أو لبيت مال المسلمين .

وكان يأمر عماله بسداد الديون عن المحتاجين ، وتزويج من لا يقدر على الزواج . وقد خرج عمر راكباً ليعرف أخبار البلاد ، فقابله رجل من المدينة المنورة فسأله عن حال المدينة ، فقال : إن الظالم فيها مهزوم ، والمظلوم فيها ينصره الجميع ، وإن الأغنياء كثيرون ، والفقراء يأخذون حقوقهم من الأغنياء ، ففرح عمر وحمد الله .

طُلب منه أن يأمر بكسوة الكعبة ، مثل كل عام ، فقال : إني رأيت أن أجعل ذلك (ثمن كسوة الكعبة) في أكباد جائعة ، فإن أولى بذلك من البيت .

وبعد فترة حكمه التي دامت تسعة وعشرين شهراً ، اشتد عليه المرض ، فجاءه ابن عمه مسلمة بن عبد الملك ، وطلب منه أن يترك شيئاً لأولاده فرفض أن يعطيهم من أموال المسلمين . ثم قال لأهله : اخرجوا عني ، فخرجوا ، وجلس على الباب مَسْلَمة بن عبد الملك وأخته فاطمة ، فسمعاه يقول : مرحباً بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان ، ثم قرأ : (**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**) [القصص : ٨٣] .

ومات عمر بعد أن ضرب المثل الأعلى في العدل والزهد والورع .

اشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة هذا الجيل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.



سلسلة المشاهير (٨)

أشهر الأطباء

أبو بكر الرازي، ابن سينا، ابن النفيس

إعداد

محمد عبد الرحمن عويس



بسم الله الرحمن الرحيم

الطب مهنة قديمة ، قدم الإنسان على الأرض ، عرفته الحضارات منذ آلاف السنين ، وكانت لكل حضارة بصمات واضحة فيه ، فلما أشرقت شمس الإسلام ، اهتم العلماء المسلمون به ، انطلاقاً من مبادئ الإسلام التي تدعو إلى تخفيف آلام المرضى ، فاطلعوا على إسهامات الحضارات السابقة ، واستوعبوها ونقحوها ، وأضافوا إليها إسهامات جليلة ، فتقدمت علوم الطب في عصور الحضارة الإسلامية تقدماً ملحوظاً ، حتى قال المنصفون من الغرب : إن علوم الطب قد أسست على أسس علمية بفضل العلماء المسلمين .

لقد أضاف المسلمون إضافات كثيرة ، فأسسوا المستشفيات الراقية ، واكتشفوا الكثير من الأدوية ، وعرفوا علم التشريح ، وطب الأسنان ، والجراحة ، والصيدلة ، والبيطرة ، واشتهر كثير من أطباء المسلمين .

وهذه بعض نماذج الأطباء المسلمين ، وهي شاهدة على عظمة الطب الإسلامي .

أبو بكر الرازي

في مدينة " الري " القريبة من " طهران " ، ولد " أبو بكر محمد بن زكريا " سنة ٢٥١ هـ — ٨٦٥ م .

من الغناء إلى طريق الطب :

أحب الرازي الغناء والضرب على العود في بداية حياته ، ثم اتجه إلى الطب والكيمياء ، يقرأ فيهما كثيراً ، وأراد أن يُجرِي إحدى التجارب الكيميائية ، فاستنشق غازاً سامّا سبب له مرضاً شديداً ، وعالجه أحد الأطباء حتى شفى ، وكان له صديق صيدلي ، فأخذ يتردد عيه ، وطالع كثيراً من الكتب عن الطب ، حتى أصبح طبيباً مشهوراً .

مستشفى بغداد :

ولما بلغ سن الأربعين ، صار أشهر أطباء عصره ، فطلب منه الخليفة العباسي المقتدر بالله إنشاء مستشفى في مدينة " بغداد " ففكر طويلاً واستشار أصدقاءه وتلاميذه ، وأخذ يناقش معهم أنسب الأماكن لإقامة المستشفى ، وأدهش الجميع بفكرته الرائعة ، حين أخذ قطعة لحم كبيرة ، وقطعها إلى قطع صغيرة ، ووضعها في أماكن مختلفة من ضواحي مدينة بغداد ، وانتظر بضعة أيام ، ثم اختار المكان الذي لم تتلف فيه قطعة اللحم ، فأخبر الخليفة ببناء المستشفى في هذا المكان لأنه أنقى هواءً ، فأعجب الخليفة بذكائه ، وأمر ببنائها ، حتى تم البناء . وكان الرازي هو مدير ذلك المستشفى ورئيس أطبائه بتكليف من الخليفة .

طريقة العلاج :

كانت طريقة الرازي مميزة في العلاج ؛ إذ أنه كان يتعرف أولاً على أعراض المرض في دقة وصبر ، ثم يحصر الاحتمالات ، ثم يستبعد منها ما توحي خبرته وملاحظاته بضرورة استبعاده ، فإذا عرف المرض وصف له العلاج ، وتتبع حالة المريض .

وكان الرازي ينصح تلاميذه أن يساعدوا الفقراء بعلاجهم بالمجان ، ويعلمهم أن مهنتهم مهنة الرحمة بالضعفاء ، وأن عليهم مساعدة مرضاهم على الشفاء بالكلمة الطيبة ، وإحياء الأمل في نفوسهم ، كما نصحهم بالتعفف عند الكشف على النساء ، ونهاهم عن الكبر والخيلاء .

وكان ينصحهم بالمداومة على القراءة والبحث والاطلاع . وكان يجري تجاربه على القرود أمام تلاميذه ، فإذا نجحت التجربة قام بإجرائها على الإنسان .

إنجازات الرازي :

من أهم إنجازات الرازي العلمية والطبية أنه اكتشف مرض الحساسية ، و " اليرقان " الناجم عن تكسر الدم ، وميَّز بينه وبين التهاب الكبد الوبائي ، واكتشف أيضاً مرض الحصبة ، وميَّز بينه وبين مرض الجدري ، واستعمل الرازي خبرته كعالم كيميائي في إدخال بعض المركبات الكيميائية لأول مرة في العلاج .

وكان الرازي من أوائل الأطباء الذين يعالجون مرضاهم بأسلوب نفسي بدون أدوية ، فيأتي بالقصاصين إلى المستشفى ليقصُّوا على المرضى القصص والحكايات ليرفهوا عنهم ، وينسوهم آلام المرض .

تراث الرازي :

ظل الرازي يبحث ويفكر ويكتب الكثير ، فترك لنا نحو ٢٢٤ كتاباً في الطب والصيدلة والكيمياء وغيرها ككتاب " الحاوي " الذي ترجمه الأوربيون واستفادوا منه .

وقد سماه " الرازي " الحاوي لأنه يحوي كل الكتب والأقاويل الطبية القديمة من أهل صناعة الطب ، ويقع في عشرين مجلداً . وله – أيضاً – : " رسالة في الجدري والحصبة " و " أخلاق الطبيب" ، و " المنصوري " ، و " قصص وحكايات المرضى " ، و " المدخل الصغير إلى الطب " ، و " الطب الروحاني " ، و " رسالة في الداء الخفي " ، و " المدخل التعليمي " ، و " مجموعة الرسائل الفلسفية " .

وفاة الرازي :

استمر الرازي يجري التجارب حتى أثرت أبخرة المواد الكيميائية على عينيه ؛ فضعف بصره .

وتوفي الرازي عام ٣١١ هـ – ٩٢٣ م ، بعد أن ترك تراثاً طبيّا عظيماً .

ابن سينا

النشأة والتربية :

في قرية " أفشنة " من بخارى ، الواقعة في جمهورية أوزبكستان حاليًا ، ولد أبو علي حسين بن عبد الله بن علي بن سينا سنة ٣٧٠ هـ — ٩٨٠ م ، فاعتنى والده بتربيته وتعليمه ، واهتم به اهتماماً بالغاً .

حفظ ابن سينا القرآن وسنُّه لم تتجاوز العاشرة ، وأتم دراسة الفقه والحديث ، كما درس العلوم المختلفة مثل : الرياضيات ، والفلك ، والطبيعة ، والفلسفة ، والمنطق .

طريق العلم :

كانت بخارى مدينة عامرة بالقصور والمساجد والمكتبات ، فكان العلماء يأتون إليها ضيوفاً في قصر الأمير نوح ، أو عند عبد الله والد ابن سينا ، فكان الصبي يستغل هذه الفرصة ويذهب إلى العلماء يتعلم على أيديهم .

وأخذ ابن سينا يقرأ ويطالع في فروع العلم المختلفة ، لكنه شعر بميل شديد إلى علوم الطب ؛ فكان يعتمد على نفسه في دراسته تارة ، أو يذهب إلى أبي سهل المسيحي ، وأبي منصور الحسن بن نوح ، طبيبي الأمير نوح ، يسألهما فيما غمض عليه من المسائل الطبية .

الطبيب المحبوب :

انقضت أربع سنوات تفرغ خلالها ابن سينا لدراسة الطب ، وفي تلك الأيام ، انتشرت الأمراض بين الناس في مدينة بخارى واشتد فتكها بالفقراء ، ولما كان الأطباء في بخارى قليلي العدد ؛ فقد بالغوا في أجورهم ، لكن ابن سينا كان بذل جهده في علاج الفقراء في المساجد ، والمنازل ، فاشتهر بين أهل بخارى لرحمته وفضله ، وأصبح مصدراً للدهشة والإعجاب بين أصدقائه وبني قومه ، وأقبل عليه الأطباء ليستفيدوا من علمه الغزير ، ويتعلموا منه أشياء جديدة في الطب لم يعرفوها و لم يدرسوها من قبل ، وسنه حينذاك لم تتجاوز السادسة عشرة .

طبيب الأمير :

وذاعت شهرة ابن سينا أكثر عندما مرض الأمير نوح بن منصور و لم يجدا مفرّا من استشارته ، فجاء الطبيب الصغير إلى مجلس الأمير وقد تغير لون وجهه من الخجل ، وقال لأستاذيه : كيف أعالج

أميراً أنتما طبيباه وكلاكما لي أستاذ ؟! فقالا له : يا أبا علي ، لقد صرت من الطب في مكانة رفيعة ونحن نعرف تواضعك .

فذهب وفحص نوحاً ، واستطاع أن يصف العلاج الصحيح الذي جعله الله سبباً في شفاء الأمير ، فقربه الأمير من مجلسه ، وأذن له بالاطلاع على دار كتبه .

الطبيب الوزير :

خرج ابن سينا من بخارى إلى مدينة الجرجانية بعد أن فقد أباه والأمير نوحاً ، وفي الجرجانية ألف كتباً عدة ، منها : " الأرصاد الكلية في الفلك ، والحكمة العروضية " ، وبدأ في تأليف كتابه الشهير في الطب : " القانون " ، ولم يكد ينتهي من الجزء الأول حتى اضطر إلى الخروج إلى "همذان" حيث قربه الأمير " شمس الدولة " ؛ فأعطاه قصراً ، وألح عليه ليكون كبيراً لوزرائه ، لكن "ابن سينا" لم ينشغل عن العلم لحظة ، فكان ينظم ساعات يومه ؛ في النهار يشغل نفسه بأمور الدولة ، وفي الليل يكتب ويؤلف ويقرأ الكتب .

لقد كانت حياة ابن سينا حافلة بالنشاط والعمل ، حتى إنه ترك لنا الكثير من المؤلفات في الرياضيات والمنطق والطبيعة والإلهيات والفلك والطب والصيدلة والأخلاق والسياسة وغير ذلك من علوم كثيرة .

فله " الشفا في الفلسفة " ، و " القانون في الطب " ، وقد درس الأوربيون كتاب ابن سينا ، وطوروا الطب من خلاله ، ولشدة اهتمامهم بهذا الكتاب طبعوا منه ست عشرة طبعة في القرن الخامس عشر ، ثم طبعوا منه عشرين طبعة في القرن السادس عشر ، ثم تسعاً وثلاثين طبعة في النصف الأول من القرن السابع عشر ، في الوقت الذي لم يطبعوا فيه من كتب " جالينوس " الطبيب اليوناني غير طبعة واحدة .

اكتشافات ابن سينا :

ابن سينا له العديد من الاكتشافات ، فقد اكتشف : الديدان المعوية والدود المستدير " وهو ما نسميه الآن الإنكلستوما " ، وكان أول من نبه إلى أثر حالة المريض النفسية على جهازه الهضمي ، وقرحة المعدة ، والدورة الدموية وسرعة النبض ، كما استطاع ابن سينا أن يصف بدقة الأعضاء المختلفة لجسم الإنسان ، كذلك سمى كل عضلة وعرق وعصب باسمه المشهور به ، وابتكر عملية التخدير التي يجب أن تتم قبل إجراء أية عملية جراحية .

كما كان له كتابات في المنطق والنبات والحيوان والكيمياء والفلك ؛ فقد قرر حركـــة دوران الأرض وانجذابها إلى مركز العالم ، كما تحدث عن سرعة الضوء والصوت .

و لم يقف اهتمام ابن سينا على هذه العلوم ، فقد اهتم أيضاً بدراسة النفس الإنسانية ، وكانت أقواله في علم النفس ذات شأن كبير في العالم الإسلامي والأوروبي ، حتى لقب بالـــشيخ الـــرئيس ، ولقب في الغرب ب " أبو الطب " .

وفاة ابن سينا :

في " همدان " مرض ابن سينا واشتد عليه المرض ، فاشتاق للقاء ربه وتصدق بكل ماله ، ولفظ أنفاسه الأخيرة في يوم الجمعة الأولى من رمضان سنة ٤٢٨ هـــ – ١٠٣٧ م .

ابن النفيس

مدينة العلم :

في دمشق ولد ابن النفيس علاء الدين علي بن أبي الحزم ، فوجد اهتماماً بدراسة الطب ، فتتلمذ على يد " مهذب الدين عبد الرحيم " المسمى " بالدخوار " . والذي كان طبيباً للعيون في " البيمارستان النوري " بدمشق ، ثم عينه السلطان سيف الدين أخو صلاح الدين الأيوبي وخليفته رئيساً لأطباء سوريا ومصر ، وتتلمذ ابن النفيس أيضاً على يد " عمران الإسرائيلي " الذي عالج مرضى قد يئسوا من الشفاء .

ابن النفيس في مصر :

ظل ابن النفيس يتدرب على مهنة الطب ، يفحص المرضى ، ويتابع مراحل علاجهم إلى أن أرسله الأيوبيون مع مجموعة من زملائه إلى مصر ، وجاء " ابن النفيس " إلى القاهرة ، فوجدها غاية في الجمال ، وكان يذهب إلى الأماكن الهادئة ليبحث المسائل العلمية المعقدة ، وعاش " ابن النفيس " في داره المهيأة له بالقاهرة ، وأخذ العلماء والأطباء والأمراء والأعيان يترددون عليه ، يتناقشون معه في المسائل العلمية .

تلميذ ابن سينا :

أحب " ابن النفيس " كتب " ابن سينا " وبسطها للتلاميذ والطلاب حتى يسهل عليهم فهمها ومعرفة ما جاء بها ، و لم يبخل على أحد بعلمه ، بل إنه أوصى بما جمعه من الكتب القيمة للبيمارستان المنصوري بالقاهرة ، وكان لا يحجب نفسه عن الإفادة لمن قصده ليلاً أو نهاراً .

الطبيب الفقيه :

و لم يكن ابن النفيس الذي لقب بابن سينا زمانه طبيباً فقط ، بل قام بتدريس الفقه بمدرسة المسرورية بالقاهرة ، وكتب في الحديث والسيرة النبوية الشريفة والنحو .

مؤلفات ابن النفيس :

كان أعظم ما كتبه ابن النفيس كتابه " شرح تشريح القانون " ، وهو شرح لكتاب "القانون" لابن سينا ، وكان يهدف من شرح هذا الكتاب الإعانة على إتقان العلم بفن التشريح ، وقد اهتم ابن النفيس في هذا الكتاب بالقسم المتعلق بتشريح القلب والحنجرة والرئتين ، كما توصل إلى كشف الدورة الدموية الصغرى قبل أن يكتشفها " هارفي " الذي ينسب إليه اكتشافها .

ابن النفيس في أوروبا :

وقد استفاد علماء أوروبا من نظريات " ابن النفيس " وكتبه ، ففي مدينة " البندقية " ، نشر طبيب إيطالي اسمه " الباجو " ترجمة باللغة اللاتينية لأجزاء كثيرة من كتاب " شرح تشريح القانون "، كما استفاد منه " هارفي " الذي وصف الدورة الدموية ، ومن أهم المؤلفات التي تركها " ابن النفيس " كتاب : " الشامل في الطب " الذي يعد موسوعة طبية ، وكان يعتزم إصدارها في ثلاثمائة جزء إلا أنه توفى و لم يكتب منها سوى ثمانين .

طبيب العيون :

ومن كتبه " المهذب في الكحل " ، وهو كتاب يصف علاج أمراض العيون ، و " شرح فصول أبقراط " ، وغيرها .

سريع التأليف :

كان ابن النفيس سريع التأليف ، قيل : إنه إذا أراد أن يؤلف شيئاً وضعت له الأقلام مبرية ، ويدير وجهه إلى الحائط ، ثم يكتب بسرعة شديدة ، فإذا تلف القلم رماه وتناول غيره حتى لا يضيع الوقت في بري القلم !!

إياكم والحرام :

مرض ابن النفيس ، فزعم له بعض أصحابه من الأطباء أن تناوله لشيء من الخمر سيشفيه ، فرفض ذلك وقال " لا ألقى الله تعالى وفي جوفي شيء من الخمر " .

وفاة ابن النفيس :

ظل ابن النفيس الطبيب الشهير مريضاً ستة أيام ، ثم توفى وكان ذلك في ذي الحجة سنة ٦٨٧ هـ بالقاهرة .

اشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة هذا الجيل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.



منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com

سلسلة المشاهير (٨)

أشهر الأطباء

أبو بكر الرازي، ابن سينا، ابن النفيس

إعداد

محمد عبد الرحمن عويس



بسم الله الرحمن الرحيم

الطب مهنة قديمة ، قدم الإنسان على الأرض ، عرفته الحضارات منذ آلاف السنين ، وكانت لكل حضارة بصمات واضحة فيه ، فلما أشرقت شمس الإسلام ، اهتم العلماء المسلمون به ، انطلاقاً من مبادئ الإسلام التي تدعو إلى تخفيف آلام المرضى ، فاطلعوا على إسهامات الحضارات السابقة ، واستوعبوها ونقحوها ، وأضافوا إليها إسهامات جليلة ، فتقدمت علوم الطب في عصور الحضارة الإسلامية تقدماً ملحوظاً ، حتى قال المنصفون من الغرب : إن علوم الطب قد أسست على أسس علمية بفضل العلماء المسلمين .

لقد أضاف المسلمون إضافات كثيرة ، فأسسوا المستشفيات الراقية ، واكتشفوا الكثير من الأدوية ، وعرفوا علم التشريح ، وطب الأسنان ، والجراحة ، والصيدلة ، والبيطرة ، واشتهر كثير من أطباء المسلمين .

وهذه بعض نماذج الأطباء المسلمين ، وهي شاهدة على عظمة الطب الإسلامي .

أبو بكر الرازي

في مدينة " الري " القريبة من " طهران " ، ولد " أبو بكر محمد بن زكريا " سنة ٢٥١ هـ – ٨٦٥ م .

من الغناء إلى طريق الطب :

أحب الرازي الغناء والضرب على العود في بداية حياته ، ثم اتجه إلى الطب والكيمياء ، يقرأ فيهما كثيراً ، وأراد أن يُجرِي إحدى التجارب الكيميائية ، فاستنشق غازاً سامّا سبب له مرضاً شديداً ، وعالجه أحد الأطباء حتى شفى ، وكان له صديق صيدلي ، فأخذ يتردد عيه ، وطالع كثيراً من الكتب عن الطب ، حتى أصبح طبيباً مشهوراً .

مستشفى بغداد :

ولما بلغ سن الأربعين ، صار أشهر أطباء عصره ، فطلب منه الخليفة العباسي المقتدر بالله إنشاء مستشفى في مدينة " بغداد " ففكر طويلاً واستشار أصدقاءه وتلاميذه ، وأخذ يناقش معهم أنسب الأماكن لإقامة المستشفى ، وأدهش الجميع بفكرته الرائعة ، حين أخذ قطعة لحم كبيرة ، وقطعها إلى قطع صغيرة ، ووضعها في أماكن مختلفة من ضواحي مدينة بغداد ، وانتظر بضعة أيام ، ثم اختار المكان الذي لم تتلف فيه قطعة اللحم ، فأخبر الخليفة ببناء المستشفى في هذا المكان لأنه أنقى هواءً ، فأعجب الخليفة بذكائه ، وأمر ببنائها ، حتى تم البناء . وكان الرازي هو مدير ذلك المستشفى ورئيس أطبائه بتكليف من الخليفة .

طريقة العلاج :

كانت طريقة الرازي مميزة في العلاج ؛ إذ أنه كان يتعرف أولاً على أعراض المرض في دقة وصبر ، ثم يحصر الاحتمالات ، ثم يستبعد منها ما توحي خبرته وملاحظاته بضرورة استبعاده ، فإذا عرف المرض وصف له العلاج ، وتتبع حالة المريض .

وكان الرازي ينصح تلاميذه أن يساعدوا الفقراء بعلاجهم بالمجان ، ويعلمهم أن مهنتهم مهنة الرحمة بالضعفاء ، وأن عليهم مساعدة مرضاهم على الشفاء بالكلمة الطيبة ، وإحياء الأمل في نفوسهم ، كما نصحهم بالتعفف عند الكشف على النساء ، ونهاهم عن الكبر والخيلاء .

وكان ينصحهم بالمداومة على القراءة والبحث والاطلاع . وكان يجري تجاربه على القرود أمام تلاميذه ، فإذا نجحت التجربة قام بإجرائها على الإنسان .

إنجازات الرازي :

من أهم إنجازات الرازي العلمية والطبية أنه اكتشف مرض الحساسية ، و " اليرقان " الناجم عن تكسر الدم ، وميَّز بينه وبين التهاب الكبد الوبائي ، واكتشف أيضاً مرض الحصبة ، وميَّز بينه وبين مرض الجدري ، واستعمل الرازي خبرته كعالم كيميائي في إدخال بعض المركبات الكيميائية لأول مرة في العلاج .

وكان الرازي من أوائل الأطباء الذين يعالجون مرضاهم بأسلوب نفسي بدون أدوية ، فيأتي بالقصاصين إلى المستشفى ليقصُّوا على المرضى القصص والحكايات ليرفهوا عنهم ، وينسوهم آلام المرض .

تراث الرازي :

ظل الرازي يبحث ويفكر ويكتب الكثير ، فترك لنا نحو ٢٢٤ كتاباً في الطب والصيدلة والكيمياء وغيرها ككتاب " الحاوي " الذي ترجمه الأوربيون واستفادوا منه .

وقد سماه " الرازي " الحاوي لأنه يحوي كل الكتب والأقاويل الطبية القديمة من أهل صناعة الطب ، ويقع في عشرين مجلداً . وله – أيضاً – : " رسالة في الجدري والحصبة " و " أخلاق الطبيب" ، و " المنصوري " ، و " قصص وحكايات المرضى " ، و " المدخل الصغير إلى الطب " ، و " الطب الروحاني " ، و " رسالة في الداء الخفي " ، و " المدخل التعليمي " ، و " مجموعة الرسائل الفلسفية " .

وفاة الرازي :

استمر الرازي يجري التجارب حتى أثرت أبخرة المواد الكيميائية على عينيه ؛ فضعف بصره .

وتوفي الرازي عام ٣١١ هـ – ٩٢٣ م ، بعد أن ترك تراثاً طبيّا عظيماً .

ابن سينا

النشأة والتربية :

في قرية " أفشنة " من بخارى ، الواقعة في جمهورية أوزبكستان حاليّا ، ولد أبو علي حسين بن عبد الله بن علي بن سينا سنة ٣٧٠ هـــ — ٩٨٠ م ، فاعتنى والده بتربيته وتعليمه ، واهتم به اهتماماً بالغاً .

حفظ ابن سينا القرآن وسنُّه لم تتجاوز العاشرة ، وأتم دراسة الفقه والحـــديث ، كمـــا درس العلوم المختلفة مثل : الرياضيات ، والفلك ، والطبيعة ، والفلسفة ، والمنطق .

طريق العلم :

كانت بخارى مدينة عامرة بالقصور والمساجد والمكتبات ، فكان العلماء يأتون إليها ضيوفاً في قصر الأمير نوح ، أو عند عبد الله والد ابن سينا ، فكان الصبي يستغل هذه الفرصـــة ويـــذهب إلى العلماء يتعلم على أيديهم .

وأخذ ابن سينا يقرأ ويطالع في فروع العلم المختلفة ، لكنه شعر بميل شديد إلى علوم الطب ؛ فكان يعتمد على نفسه في دراسته تارة ، أو يذهب إلى أبي سهل المسيحي ، وأبي منصور الحسن بن نوح ، طبيبي الأمير نوح ، يسألهما فيما غمض عليه من المسائل الطبية .

الطبيب المحبوب :

انقضت أربع سنوات تفرغ خلالها ابن سينا لدراسة الطب ، وفي تلـــك الأيـــام ، انتـــشرت الأمراض بين الناس في مدينة بخارى واشتد فتكها بالفقراء ، ولما كان الأطباء في بخارى قليلي العدد ؛ فقد بالغوا في أجورهم ، لكن ابن سينا كان بذل جهده في علاج الفقراء في المساجد ، والمنـــازل ، فاشتهر بين أهل بخارى لرحمته وفضله ، وأصبح مصدراً للدهشة والإعجاب بين أصدقائه وبني قومه ، وأقبل عليه الأطباء ليستفيدوا من علمه الغزير ، ويتعلموا منه أشياء جديدة في الطب لم يعرفوهـــا و لم يدرسوها من قبل ، وسنه حينذاك لم تتجاوز السادسة عشرة .

طبيب الأمير :

وذاعت شهرة ابن سينا أكثر عندما مرض الأمير نوح بن منصور و لم يجدا مفرّا من استشارته ، فجاء الطبيب الصغير إلى مجلس الأمير وقد تغير لون وجهه من الخجل ، وقال لأستاذيه : كيف أعالج

أميراً أنتما طبيباه وكلاكما لي أستاذ ؟! فقالا له : يا أبا علي ، لقد صرت من الطب في مكانة رفيعة ونحن نعرف تواضعك .

فذهب وفحص نوحاً ، واستطاع أن يصف العلاج الصحيح الذي جعله الله سبباً في شفاء الأمير ، فقربه الأمير من مجلسه ، وأذن له بالاطلاع على دار كتبه .

الطبيب الوزير :

خرج ابن سينا من بخارى إلى مدينة الجرجانية بعد أن فقد أباه والأمير نوحاً ، وفي الجرجانية ألف كتباً عدة ، منها : " الأرصاد الكلية في الفلك ، والحكمة العروضية " ، وبدأ في تأليف كتابه الشهير في الطب : " القانون " ، ولم يكد ينتهي من الجزء الأول حتى اضطر إلى الخروج إلى "همذان" حيث قربه الأمير " شمس الدولة " ؛ فأعطاه قصراً ، وألح عليه ليكون كبيراً لوزرائه ، لكن "ابن سينا" لم ينشغل عن العلم لحظة ، فكان ينظم ساعات يومه ؛ في النهار يشغل نفسه بأمور الدولة ، وفي الليل يكتب ويؤلف ويقرأ الكتب .

لقد كانت حياة ابن سينا حافلة بالنشاط والعمل ، حتى إنه ترك لنا الكثير من المؤلفات في الرياضيات والمنطق والطبيعة والإلهيات والفلك والطب والصيدلة والأخلاق والسياسة وغير ذلك من علوم كثيرة .

فله " الشفا في الفلسفة " ، و " القانون في الطب " ، وقد درس الأوربيون كتاب ابن سينا ، وطوروا الطب من خلاله ، ولشدة اهتمامهم بهذا الكتاب طبعوا منه ست عشرة طبعة في القرن الخامس عشر ، ثم طبعوا منه عشرين طبعة في القرن السادس عشر ، ثم تسعاً وثلاثين طبعة في النصف الأول من القرن السابع عشر ، في الوقت الذي لم يطبعوا فيه من كتب " جالينوس " الطبيب اليوناني غير طبعة واحدة .

اكتشافات ابن سينا :

ابن سينا له العديد من الاكتشافات ، فقد اكتشف : الديدان المعوية والدود المستدير " وهو ما نسميه الآن الإنكلستوما " ، وكان أول من نبه إلى أثر حالة المريض النفسية على جهازه الهضمي ، وقرحة المعدة ، والدورة الدموية وسرعة النبض ، كما استطاع ابن سينا أن يصف بدقة الأعضاء المختلفة لجسم الإنسان ، كذلك سمى كل عضلة وعرق وعصب باسمه المشهور به ، وابتكر عملية التخدير التي يجب أن تتم قبل إجراء أية عملية جراحية .

كما كان له كتابات في المنطق والنبات والحيوان والكيمياء والفلك ؛ فقد قرر حركـــة دوران الأرض وانجذابها إلى مركز العالم ، كما تحدث عن سرعة الضوء والصوت .

و لم يقف اهتمام ابن سينا على هذه العلوم ، فقد اهتم أيضاً بدراسة النفس الإنسانية ، وكانت أقواله في علم النفس ذات شأن كبير في العالم الإسلامي والأوروبي ، حتى لقب بالـــشيخ الـــرئيس ، ولقب في الغرب ب " أبو الطب " .

وفاة ابن سينا :

في " همدان " مرض ابن سينا واشتد عليه المرض ، فاشتاق للقاء ربه وتصدق بكل ماله ، ولفظ أنفاسه الأخيرة في يوم الجمعة الأولى من رمضان سنة ٤٢٨ هـــ – ١٠٣٧ م .

ابن النفيس

مدينة العلم :

في دمشق ولد ابن النفيس علاء الدين علي بن أبي الحزم ، فوجد اهتماماً بدراسة الطب ، فتتلمذ على يد " مهذب الدين عبد الرحيم " المسمى " بالدخوار " . والذي كان طبيباً للعيون في " البيمارستان النوري " بدمشق ، ثم عينه السلطان سيف الدين أخو صلاح الدين الأيوبي وخليفته رئيساً لأطباء سوريا ومصر ، وتتلمذ ابن النفيس أيضاً على يد " عمران الإسرائيلي " الذي عالج مرضى قد يئسوا من الشفاء .

ابن النفيس في مصر :

ظل ابن النفيس يتدرب على مهنة الطب ، يفحص المرضى ، ويتابع مراحل علاجهم إلى أن أرسله الأيوبيون مع مجموعة من زملائه إلى مصر ، وجاء " ابن النفيس " إلى القاهرة ، فوجدها غاية في الجمال ، وكان يذهب إلى الأماكن الهادئة ليبحث المسائل العلمية المعقدة ، وعاش " ابن النفيس " في داره المهيأة له بالقاهرة ، وأخذ العلماء والأطباء والأمراء والأعيان يترددون عليه ، يتناقشون معه في المسائل العلمية .

تلميذ ابن سينا :

أحب " ابن النفيس " كتب " ابن سينا " وبسطها للتلاميذ والطلاب حتى يسهل عليهم فهمها ومعرفة ما جاء بها ، ولم يبخل على أحد بعلمه ، بل إنه أوصى بما جمعه من الكتب القيمة للبيمارستان المنصوري بالقاهرة ، وكان لا يحجب نفسه عن الإفادة لمن قصده ليلاً أو نهاراً .

الطبيب الفقيه :

ولم يكن ابن النفيس الذي لقب بابن سينا زمانه طبيباً فقط ، بل قام بتدريس الفقه بمدرسة المسرورية بالقاهرة ، وكتب في الحديث والسيرة النبوية الشريفة والنحو .

مؤلفات ابن النفيس :

كان أعظم ما كتبه ابن النفيس كتابه " شرح تشريح القانون " ، وهو شرح لكتاب "القانون" لابن سينا ، وكان يهدف من شرح هذا الكتاب الإعانة على إتقان العلم بفن التشريح ، وقد اهتم ابن النفيس في هذا الكتاب بالقسم المتعلق بتشريح القلب والحنجرة والرئتين ، كما توصل إلى كشف الدورة الدموية الصغرى قبل أن يكتشفها " هارفي " الذي ينسب إليه اكتشافها .

ابن النفيس في أوروبا :

وقد استفاد علماء أوروبا من نظريات " ابن النفيس " وكتبه ، ففي مدينة " البندقية " ، نشر طبيب إيطالي اسمه " الباجو " ترجمة باللغة اللاتينية لأجزاء كثيرة من كتاب " شرح تشريح القانون "، كما استفاد منه " هارفي " الذي وصف الدورة الدموية ، ومن أهم المؤلفات التي تركها " ابن النفيس " كتاب : " الشامل في الطب " الذي يعد موسوعة طبية ، وكان يعتزم إصدارها في ثلاثمائة جزء إلا أنه توفى و لم يكتب منها سوى ثمانين .

طبيب العيون :

ومن كتبه " المهذب في الكحل " ، وهو كتاب يصف علاج أمراض العيـــون ، و " شـــرح فصول أبقراط " ، وغيرها .

سريع التأليف :

كان ابن النفيس سريع التأليف ، قيل : إنه إذا أراد أن يؤلف شيئاً وضعت له الأقلام مبريـــة ، ويدير وجهه إلى الحائط ، ثم يكتب بسرعة شديدة ، فإذا تلف القلم رماه وتناول غيره حتى لا يضيع الوقت في بري القلم !!

إياكم والحرام :

مرض ابن النفيس ، فزعم له بعض أصحابه من الأطباء أن تناوله لشيء من الخمر سيـــشفيه ، فرفض ذلك وقال " لا ألقى الله تعالى وفي جوفي شيء من الخمر " .

وفاة ابن النفيس :

ظل ابن النفيس الطبيب الشهير مريضاً ستة أيام ، ثم توفى وكان ذلك في ذي الحجة سنة ٦٨٧ هـــ بالقاهرة .

اشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة هذا الجيل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.



منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com

سلسلة المشاهير (٣)

أشهر الفاتحين

عقبة بن نافع، موسى بن نصير، طارق بن زياد

إعداد

ياسر علي نور



بسم الله الرحمن الرحيم

كان الفتح الإسلامي بلسماً شافياً للأفئدة المجروحة ، ونوراً ساطعاً لمن يعيشون في ظلمـــات الغي والضلال ، وهدى للحائرين يهديهم طريق الحق والصدق ، ولم يكن الفتح الإسلام يوماً مـــن الأيام انتهاكاً للحرمات ، أو قتلاً للأبرياء ، أو تشريداً للثكالى والعجائز ، كما يصنع جنود أية ملـــة من الملل . فأبناء الإسلام تعلموا أن الفتح إنقاذٌ للبشرية من غرق الكفر والوثنية ، ودفاع عن الحرمات ، وذَوْدٌ عن حياض الشريعة الغراء التي نزلت رحمة لأهل الأرض بوحي من السماء .

لقد كان من تعاليم الفتح الإسلامي دعوة أهل تلك البلاد إلى الإسلام أولاً ، فإن اســـتجابوا ودخلوا في دين الله ، كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وإن رفضوا فعليهم الجزية ، وإن لم يقبلوا أحد الأمرين فليس سوى الحرب . وفيها لا يقتلون شيخاً ولا امرأة ، ولا طفـــلاً ، ولا يقطعون شجراً ولا نخلاً .

وهذه نماذج لبعض القادة الفاتحين من المسلمين .

عقبة بن نافع

التربة الطيبة :

كان والده من المسلمين الأوائل الذين جاهدوا في سبيل الله ، فلم يكن غريباً أن يشب عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري محباً للجهاد ، ولما بلغ عقبة مبلغ الشباب ، أصبح يجيد المبارزة وكل فنون الحرب والقتال ، منتظراً اللحظة المواتية ليدافع عن دين الله .

بداية الطريق :

وجاءت الفرصة ، عندما أسند الخليفة العادل عمر بن الخطاب فتح بلاد الشام إلى عمرو بـــن العاص ، وجعل عمرو عقبة بن نافع في مقدمة الجيش وهو لم يبلغ بعد سن العشرين .

في طريق الجهاد :

وفي أثناء فتح عمرو بن العاص لمصر ، أظهر عقبة تفوقاً ملحوظاً ، واستطاع بمهارته الحربية أن يساعد في هزيمة الروم ، فكلفه عمرو بن العاص ذات يوم أن يتولى قيادة مجموعة من الجنود لفتح فزان ، ففتحها .

إلى إفريقية :

أراد عمرو فتح إفريقية كلها ، فبعث إلى الخليفة عمر يستأذنه في فتحها ، لكن عمر – رضي الله عنه – كان من رأيه الانتظار حى يرسخ المسلمون في مصر وتثبت إمارقم ويزداد جيش المسلمين ويقوى عدةً وعتاداً .

أستاذ برقة :

انتقل عقبة – رحمه الله – إلى " برقة " بليبيا بأمر من عمرو بن العاص رضي الله عنه ، لـــيعلِّم المسلمين فيها أمور دينهم ، وينشر الإسلام في هذه المنطقة .

ومكث – رضي الله عنه – مخلصاً في نشر الإسلام ، وتدعيم شعائره في نفوس الذين أقبلـــوا على تعلم لغة القرآن .

فأسلم على يديه كثير منهم ، وأحبوه حتى اكتسب خبرة واسعة بكل أحوال البربر .

وفي عهد معاوية أسند عمرو بن العاص استكمال الفتوحات إلى عقبة ؛ لمعرفته بحيـــاة البربـــر وعاداقم .

وبدأ عقبة الجهاد في سبيل الله ، ونشر الإسلام بين قبائل البربر ، وانتشرت المساجد في كـــل مكان فيها .

وظل عقبة والياً على برقة إلى أن جاءته رسالة من الخليفة يخبره بأنه قد اختاره لفتح إفريقية ، فاستطاع عقبة أن يستولي على منطقة " ودان " ، ثم اتجه ناحية مدينة " خاوار " التي كانت تقع على قمة جبل شديد الارتفاع ، فسلك طريقاً ليس فيه عشب ولا ماء ، وكاد جيش عقبة يموت عطشاً ، فاتجه إلى الله يدعوه ، فما كاد ينتهي من دعائه حتى رأى فرسه يضرب الأرض برجليه بحثاً عن المـــاء من شدة العطش ، واستجاب الله دعاء عقبة ، وانفجر الماء من تحت أقدام الفرس ، وكبَّـــر عقبـــةُ والمسلمون ، وأخذوا يشربون من هذا الماء العذب .

ولما شرب الجيش ، أمر عقبة جنوده بأن يحفروا سبعين حفرة في هذا المكان علهم يجدون ماء عذباً ، وتحققت قدرة الله فيهم .

ولما سمع البربر المقيمون بالقرب من هذه المنطقة بقصة الماء أقبلوا من كل جهة يشاهدون مـــا حدث ، وأسلم عدد كبير منهم .

وانطلق عقبة وجنوده إلى مدينة " خاوار " ، ودخلوها ليلاً ، ولما عاد عقبة فكر في بناء مدينة القيروان .

وفي عهد الخليفة يزيد بن معاوية عاد عقبة إلى قيادة الجيش في إفريقية ، وأقام عـــدة أيـــام في القيروان يعيد تنظيم الجيش حتى أصبح على أتم الاستعداد للغزو والفتح ، ثم انطلق إلى مدينة الزاب (وهي المدينة التي يطلق عليها الآن اسم قسطنطينة بالجزائر) وفتحها .

استشهاده :

أمر عقبة الجيش بالانطلاق إلى طنجة ، وظل يتنقل من غزو إلى غزو حتى وصل إلى شـــاطئ المحيط الأطلنطي ، فنزل بفرسه إلى الماء ، وتطلع إلى السماء وقال : يا رب . لولا هذا المحيط لمضيت في البلاد مدافعاً عن دينك ، ومقاتلاً من كَفَرَ بك وعَبَدَ غيرك .

وفوجئ عقبة بن نافع عند بلدة تهوذة بآلاف الجنود من البربر يهجمون عليه هو وجنـــوده ، فاندفع بفرسه متقدماً جنوده يضرب الأعداء بسيفه ، حتى أحاطوا به وجنوده ، فاستشهدوا جميعاً ، سنة ٦٣ هـــ .

موسى بن نصير

في خلافة " عمر بن الخطاب " – رضي الله عنه – ولد " موسى بن نصير " سنة ١٩ هـ (٦٤٠ م) في قرية " كفر مترى " شمال فلسطين ، فتعلم الكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، ونظم الشعر .

النشأة والجهاد :

وشب موسى وهو يشاهد جيوش المسلمين تجاهد في سبيل الله ، لنشر الدين الإسلامي في ربوع الأرض .

وجاءت اللحظة الموعودة لينال موسى قيادة بعض الحملات البحرية التي وجهها معاوية لإعادة غزو " قبرص " التي سبق أن فتحها معاوية في سنة ٢٧ هـ ؛ فنجح في غزوها ، وبنى هناك حصوناً ، ثم تولى إمارتها . وفي سنة ٥٣ هـ (٦٧٣ م) ، كان موسى أحد القادة الذين خرجوا لغزو جزيرة: " رودس " التي انتصر المسلمون فيها .

وفي سنة ٦٥ هـ (٦٨٤ م) أمر مروان بن الحكم بتجهيز الجيش للسير به نحو مصر ، وزحف الجند مسرعين بقيادة ابنه " عبد العزيز " وصديقه " موسى بن نصير " ووصل الجيش إلى مصر ، واستطاع مروان أن يضمها تحت لواء المروانيين الأمويين ، ثم غادرها إلى دمشق بعد أن عين ابنه " عبد العزيز " والياً ، وجعل موسى بن نصير وزيراً له .

وعاش موسى مع عبد العزيز بن مروان ، في مصر فكان موضع سره ، ووزيره الأول ، يساعده في حكم مصر ، حتى ازدادت خبرة موسى في شئون السياسة والحكم .

ومات مروان ، وتولى الخلافة بدلاً منه ابنه " عبد الملك " ، وكان عبد العزيز بن مروان يشيد بشجاعة موسى وإخلاصه أمام الخليفة مما جعله يخص موسى بالحفاوة والتكريم .

والي إفريقية :

ظل موسى بن نصير يتدرج حتى أصبح والياً على شمال إفريقية ، وتمكن من تجهيز جيش إسلامي قوي انطلق به نحو المغرب لتأديب البربر الذين قاموا بالعديد من الغارات على المسلمين . واستطاع موسى أن يهزم قبائل البربر التي خرجت عن طاعة المسلمين ، ولما وصل إلى مدينة القيروان ، صلى بالجند صلاة شكر لله على النصر .

وانتشرت جيوش " موسى بن نصير " في شرق المغرب وشماله تفتح كل ما يصادفها من الحصون المنيعة ، حتى أخضع القبائل التي لم تكن قد خضعت بعد للمسلمين

وتطلع موسى إلى فتح " طنجة " ففتحها ، وأقام للمسلمين مدناً جديدة فيها ، وأسلم أهلها ، وبعث موسى لصديقه عبد العزيز يبشره بالفتح ، و لم يكتفِ موسى بهذه الانتصارات ، بل أخذ يجهز أسطولاً بحريّاً ، وأمر في الحال ببناء ترسانة بحرية في تونس . ثم أمره بفتح جزيرة صقلية ، فسار ابنه عبد الله بجند الحق حتى وصل إلى الجزيرة فدخلها ، وأخذ منها غنائم كثيرة ، حتى وصل نصيب الجندي مائة دينار من الذهب ، وكان عدد الجنود المسلمين ما بين التسعمائة إلى الألف ، ثم عاد عبد الله من غزواته سالماً غانماً ، وبعث موسى قائده " عياش بن أخيل " على مراكب أهل إفريقية ، ففتح جزيرة صقلية للمرة الثانية ، واستولى على مدينة " سرقوسة " .

وفي سنة ٨٩ هـ بعث موسى بن نصير " عبد الله بن فرة " لغزو سردينيا ففتحها ، وفي العام نفسه ، جهز موسى ولده عبد الله لفتح جزيرتي : ميورقة ومنورقة ، ففتحهما . وبدأ موسى بن نصير ينشر دين الله في المدن المفتوحة ، ونجح في ذلك نجاحاً كبيراً ، وحكم بين أهل هذه البلاد بالعدل ، فدخلوا في دين الله أفواجاً .

فتح الأندلس :

لما ضمن موسى ولاء أهل المغرب واستمساكهم بدعوة الإسلام ، أخذ يعد العدة لغزو جديد ، وبينما هو يفكر في هذا الأمر إذ جاءه رسول من قبل طارق بن زياد يخبره بأن يوليان حاكم " سبتة " عرض عليه أن يتقدم لغزو أسبانيا ، وأنه على استعداد لمعاونة العرب في ذلك ، وتقديم السفن اللازمة لنقل الجنود المسلمين .

وبعث موسى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يستشيره ، فأمره أن يختبر الموقف ، فأرسل موسى رجلاً من البربر يسمى طريف بن مالك في مائة فارس وأربعمائة راجل ، وركب هو وجنوده البحر في أربعة مراكب حتى نزل ساحل الأندلس ، فأصاب سبياً كثيراً ومالاً وفيراً ، ثم رجع إلى المغرب غانماً سالماً ، وفي شهر رجب من عام ٩٢ هـ جهز موسى جيشاً خليطاً من العرب والبربر تعداده سبعة آلاف جندي بقيادة طارق بن زياد .

وانطلق طارق بالجيش حتى وصل سبتة ، وهناك خطط لعبور المضيق ، وفي الخامس من رجب سنة ٩٢ هـ (٧١٠ م) وبفضل الله كانت آخر دفعة من الجنود بقيادة طارق تعبر المضيق الذي حمل اسمه منذ ذلك الوقت .

ونزل طارق – قائد جيش موسى بن نصير – أرض الأندلس ، وبعد عدة معارك فتح الجزيرة الخضراء . وعلم الإمبراطور " لذريق " بنزول المسلمين في أسبانيا من " بتشو " حاكم إحدى المقاطعات الجنوبية الذي بعث إليه يقول : أيها الملك ، إنه قد نزل بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء أم من الأرض ، فالنجدة . . النجدة ، والعودة على عجل . وزحف لذريق بجيش كبير ليوقف المسلمين عن الزحف ، فأرسل طارق إلى موسى مستنجداً ، فأمده بخمسة آلاف ، وكان اللقاء الحاسم يوم الأحد ٢٨ من شهر رمضان المبارك عام ٩٢ هـ واستمرت المعركة حوالي سبعة أيام ، انتهت بانتصار المسلمين بفضل الله في معركة " شذونة " .

واصل طارق فتوحاته في الأندلس ، وخشي موسى بن نصير من توغله في أراضيها ، فعبر إليه على رأس حملة كبيرة وأخذ القائدان يتمّان فتح ما بقي من الأندلس .

إلى دمشق :

وظل موسى يجاهد في سبيل الله حتى أصبحت الأندلس في قبضة المسلمين ، ثم غادر الأندلس بأمر من الخليفة ، وواصل موسى السير ، حتى وصل إلى دمشق فاستقبله الوليد ، وتحامل على نفسه – وهو مريض – وجلس على المنبر لمشاهدة الغنائم وموكب الأسرى ، فدهش الخليفة مما رأى وسجد لله شكراً ، ولم يمضِ أربعون يوماً على ذلك حتى مات الوليد بن عبد الملك ، وتولى الخلافة أخوه سليمان بن عبد الملك ، ومن يومها بدأت متاعب موسى بن نصير ، وندم سليمان على ما فعل في حق موسى وكان يقول : ما ندمت على شيء ندمي على ما فعلته بموسى وأراد أن يكفر عن ذنبه ، فاصطحب موسى بن نصير معه إلى الحج في سنة ٩٩ هـ ، لكنه لفظ أنفاسه الأخيرة أثناء الرحلة ، وفرح بلقاء ربه بعدما قضى أعواماً رفع فيها راية الجهاد .

طارق بن زياد

مولد الفارس :

ولد " طارق بن زياد " وفتح عينيه على الحياة ليجد المسلمين يجاهدون في سبيل الله ، ويضحون بأموالهم وأنفسهم لنصرة دينه ، وينتقلون من نصر إلى نصر .

فوهب نفسه لخدمة الإسلام ، و لم يتردد لحظة في القيام بعمل يخدم المسلمين ، وتدرج في المناصب حتى أصبح أميراً لمدينة " طنجة " ، وقائداً لجيوش المسلمين .

في إفريقية :

وجاءت الفرصة ، فقد علم " موسى بن نصير " والي إفريقية بضعف الأندلس وملوكها ، فأرسل إلى الخليفة الأموي " الوليد بن عبد الملك " يستأذنه في فتحها ، فأذن له الخليفة بشرط ألا يعرض المسلمين للهلاك دون فائدة ، ففرح " موسى بن نصير " فرحاً شديداً ، وجهز الجيش ، و لم يجد خيراً من طارق بن زياد لقيادته .

القائد الفاتح :

وبمجرد أن تولى طارق بن زياد أمور القيادة أرسل بعض الجواسيس لمعرفة أخبار هذه البلاد ، فعادوا ليخبروه بضعفها وتنازع أمرائها على السلطة .

وأعد " طارق " الخطة لفتح الأندلس ، وبعد أن اطمأن على الإعداد الجيد لجيشه ، عبر بجنوده البحر حتى وصلوا إلى الشاطئ .

وانطلق طارق كالحصان الجامح يفتح البلاد ، يساعده بعض الثائرين على الملك " لذريق " ملك القوط ، الذي جمع أعداداً هائلة من الجنود ، استعداداً لحرب المسلمين ، فطلب الإمداد من موسى بن نصير فأرسل إليه خمسة آلاف جندي .

والتقى الجيشان في معركة شذونة ، واستطاع طارق أن ينتصر عليهم ، ويقتل ملكهم لذريق بعد أن استمرت المعركة من ٢٨ رمضان إلى ٥ شوال سنة ٩٢ هـ ، واستطاع في صيف هذه السنة " ٩٢ هـ " أن يفتح أكثر من نصف الأندلس .

وتلقى طارق أوامر من موسى بن نصير بالتوقف عن الفتح خشية محاصرة جيش الأعداء لهم ، وقطع الإمداد عنهم ، وحتى لا يكونوا صيداً سهلاً في أيديهم .

وبعدما جهز " موسى بن نصير " جيشاً كبيراً عبر به إلى الأندلس ؛ ففتح مدينة إشبيلية ، والتقى بقائد جيشه " طارق بن زياد " عند مدينة " طليطلة " ، وانطلق الاثنان لفتح باقي الأندلس .

وظل جيش المسلمين يحقق الانتصارات حتى أُمر القائدان بالعودة .

وصل القائدان إلى دمشق قبل وفاة " الوليد بن عبد الملك " بأربعين يوماً يقودان أمامهما الأسرى والغنائم ، والجنود يرفعون إشارات النصر .

وظل طارق مخلصاً لدين الله حتى لقي ربه .

اشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذناهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة هذا الجيل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.



سلسلة المشاهير (١)

أشهر الفقهاء

أبو حنيفة النعمان، مالك بن أنس
الشافعي، أحمد بن حنبل

إعداد

مسعود صبري إبراهيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الأئمة الأربعة مصطلح اشتهر بين خاصة المسلمين وعامتهم ، إذ كتب الله لهؤلاء الأئمة توفيقاً ونجاحاً نادر المثيل ، حتى أصبح يؤخذ بآرائهم في كثير من الفتاوى والأحكام ، وقد شهد لهم بالفضل أهل العلم ، قال النضر ابن شميل عن أبي حنيفة : كان الناس نياماً في الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة . وقيل عنه : لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه ؛ لرجح علمه عليهم . وقال أحمد بن حنبل لولده عبد الله : يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن . وقيل عن مالك : لا يفتى ومالك في المدينة . أمام الإمام أحمد فلا ينكر فضله إلا جاحد .

لقد أثرى الأئمة الأربعة الفقه إثراء رائعاً ، وتتلمذ على أيديهم أناس حرروا مسائل العلم ، ونشروه في أرجاء المعمورة ، وكان مرجع الأئمة في فقههم كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم الاجتهاد ، وكان كل منهم يرى ترك رأيه إذا خالف الكتاب والسنة .

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت

كان كثير العبادة ، لا ينام الليل إلا قليلاً ؛ حتى سموه " الوتد " لكثرة صلاته ، يبكي حتى يسمع جيرانه بكاءه فيشفقون عليه مما هو فيه من خوف ووجل من الله !!

مولد الإمام :

كان الأب " ثابت " تاجراً غنياً أسلم فحسن إسلامه ، قيل : إنه التقى بالإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ، فدعا له الإمام ولذريته بالخير والبركة ، واستجاب الله الدعاء ، ورزق الله ثابتاً بطفل أسماه النعمان وكناه " أبا حنيفة النعمان بن ثابت " ، وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الكوفة .

في طريق العلم :

تلقى أبو حنيفة العلم على يد شيوخ وأساتذة كبار ، منهم : فقيه الكوفة " حماد بن أبي سليمان " ، و " الإمام جعفر الصادق " و " عطاء " و " الزهري " و " قتادة " وغيرهم ، وكان " حماد " من أكثر شيوخه الذين يحبهم ؛ وبعد موت حماد جاء الناس إلى " أبي حنيفة " يطلبون منه أن يعلمهم أمور دينهم ؛ فقبل أبو حنيفة ، وأخذ يدرس للناس حتى اشتهر فقهه بين البسطاء والأمراء ، لكنه لم يَنْسَ فضل شيخه وأستاذه " حماد " بل ظل يدعو له حتى قال أبو حنيفة : " ما صليتُ قط إلا ودعوتُ لشيخي حماد ولكل من تعلمتُ منه علماً أو علمته " .

حياته وأخلاقه :

كان أبو حنيفة يهتم بمظهره ، فيكثر التعطر ، ويُرَى وقوراً حليماً ، كما كان كريماً ، وتاجراً أميناً ، ظل يعمل بتجارة الخزّ طول حياته في دكانه المعروف بالكوفة .

وكان واسع الصدر هادئ الطبع في حديثه ، وكان يخاف عاقبة الظلم ؛ لذا رفض تولي القضاء، للخليفة المنصور العباسي .

قوام الليل :

سمع أبو حنيفة رجلاً يقول لآخر : هذا أبو حنيفة لا ينام الليل . فقال : والله لا يتحدث عني بما لم أفعل . فكان يحيي الليل صلاة وتضرعاً . وكان يتورع عن القسم خشية الهلاك ، حتى إنه جعل على نفسه إن حلف بالله صادقاً أن يتصدق بدينار .

أستاذ الأحناف :

أبو حنيفة مؤسس المذهب الحنفي ، وقد انتشر مذهبه في العراق والهند وبلاد المشرق ، وتأخذ مصر بمذهبه في قانون الأحوال الشخصية .

يقول عنه الشافعي : " الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة " ، وقال عنه النضر بن شميـــل : كان الناس نياماً في الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة . وقيل : لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهـــل زمانه ؛ لرجح علمه عليهم .

وقال عنه ابن المبارك : " ما رأيت في الفقه مثل أبي حنيفة " . وقال عنه يزيد بن هارون : " ما رأيت أحداً أحلم من أبي حنيفة " .

وفاة الإمام أبي حنيفة :

توفي سنة ١٥٠ هـــ ، وصلى عليه خمسون ألف رجل ، ودفن في بغداد ، ويقال أنه مات في ليلة مولد الشافعي .

الإمام مالك بن أنس

مولد الإمام ونشأته :

ولد الإمام سنة ٩٣ هـ بالمدينة المنورة ، ونشأ في أسرة تشتغل بالعلم ، فجده : " مالك بن أبي عامر " من كبار التابعين ؛ فشجعه ذلك على حفظ القرآن الكريم ، فأتم حفظه وأتقن تلاوته ، لكنه لم يكتف بذلك بل إنه أراد حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فذهب إلى أمه وقال لها : يا أماه إني أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأريد أن أحفظ أحاديثه ، فكيف لي بذلك ؟! ابتسمت أمه ، وضمته إليها ، ثم ألبسته ثياباً جميلة وعممته وقالت له : اذهب إلى " ربيعة الرأي " – وكان فقيهاً كبيراً – وتعلم من أدبه قبل علمه . فكان يستمع إلى شيخه وينهل من علمه ، وبعد انتهاء الدرس يسرع بالجلوس تحت ظلال الأشجار ليحفظ ما سمعه من معلمه ؛ حتى لا ينساه ، وقد رأته أخته ذات مرة وهو على هذه الحال ؛ فذهبت إلى أبيها وقصت عليه ما شاهدته ، فقال لها : يا بنيتي إنه يحفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم . وكان " مالك بن أنس " كغيره من الأطفال يحب اللعب ؛ فشغله عن العلم قليلاً فسأله أبوه يوماً في مسألة هو وأخوه النضر ، فأصاب النضر ، وأخطأ مالك ؛ فغضب والده ، فكان ذلك سبباً في اجتهاده في العلم ، فذهب من فوره إلى " ابن هرمز " فأخذ عنه العلم سبع سنوات ، حتى قال عنه يوماً : ذلك عالم الناس !! ثم ذهب إلى نافع مولى عبد الله بن عمر ، فأخذ عنه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم لازم المحدث " ابن شهاب الزهري " ، وحرص ألا يفوته درس من دروس هذا الشيخ ، حتى يوم العيد نفسه .

عالم المدينة :

ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين كمالك في العلم والفقه ، ولم يجلس للفتوى حتى شهد له سبعون من جلة العلماء أنه أهل لذلك .

واشتهر مالك بكتابه " الموطأ " وهو كتاب حديث وفقه معاً ، وقد عمل فيه نحو أربعين عاماً، والإمام مالك مؤسس المذهب المالكي . وقد مات بالمدينة سنة ١٧٩ هـ .

الإمام الشافعي

المولد والنشأة :

في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ ، ولد " محمد بن إدريس الشافعي " في نفس العام الذي توفى فيه " أبو حنيفة " ، ويلتقي الشافعي مع الرسول صلى الله عليه وسم في الجدّ الأعلى .

نشأ يتيماً ، لكن أمه الطاهرة عوضته بحنانها عن فقدان أبيه ، وانتقلت به من مكة وهو ابن سنتين ، ففيها أهله وعشيرته وعلماء الإسلام ، وظلت تربيه تربية صالحة ، وترعاه ، وتأمل أن يكون من العلماء الصالحين .

حفظ الشافعي القرآن الكريم وسنه سبع سنين ، ثم شرع في حفظ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان الشافعي يجمع قطع الجلود وسعف النخيل وعظام الجمال ليكتب عليها ، لأنه لم يكن لديه مالاً يشتري به الورق .

وكان الشافعي يتقن الرمي ، حتى كان يرمي عشرة سهام ، فلا يخطئ في سهم واحد منها .

ثم أرسلته أمه إلى قبيلة " هذيل " في البادية ؛ فمكث بينهم سبع سنين يتعلم لغتهم ، ويحفظ أشعارهم ، حتى عاد إلى مكة فصيح اللسان .

تلميذ مالك :

رحل الشافعي إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليلتقي بعالم المدينة الإمام مالك ، ولما التقى به قال له الإمام مالك : إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نوراً ، فلا تطفئه بالمعصية ، واتق الله فإنه سيكون لك شأن .

رحلة العلم :

وظل الشافعي يتتلمذ على يد الإمام مالك بن أنس – رحمه الله – حتى وفاته .

ثم رحل الشافعي إلى العراق فأخذ العلم على يد محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة وغيره ، ثم ترك بغداد إلى مكة حيث تعلم على يد " مسلم بن خالد الزنجي " ، و " سفيان بن عيينة " ، وفي الحرم المكي أخذ الشافعي يلقي دروسه ، وحضر مجلسه أناس من جميع الأقطار والبلدان ، والتقى به كبار العلماء وخاصة في مواسم الحج .

ثم عاد مرة أخر إلى بغداد سنة ١٩٥ هـ ، وكان له بها مجلس علم يحضره العلماء يستزيدون من علمه ، ويقصده الطلاب من كل مكان .

الشافعي في مصر :

جاء الشافعي إلى مصر عام ١٩٨ هـ ، لينشر مذهبه فيها ، وليبتعد عن الاضطرابات السياسية في العراق .

وألقى دروسه بجامع " عمرو بن العاص " وأحبه المصريون وأحبهم ، وبقي في " مصر " خمس سنوات قضاها كلها في التأليف والتدريس والمناظرة والرد على الخصوم ومن أشهر مؤلفاته : كتاب " الأم " في الفقه ، وكتاب " الرسالة " في أصول الفقه ، وهو أول كتاب فيه هذا العلم .

منزلته بين العلماء :

لقي الشافعي تقديراً كبيراً مِن فقهاء عصره ومَن بعدهم ، فقال أحمد بن حنبل لولده عن الشافعي : يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن . وقيل عنه :

ومَنْ يَكُ عِلمُ الشافعي إمَامَه   فمرتعُهُ في باحة العلم واسعُ

وكان أحمد بن حنبل – أحد تلاميذه – يحرص على ألا يفوته درس الشافعي ، ويقول لأحد أصحابه : " يا أبا يعقوب ، اقتبس من الرجل ، فإنه ما رأت عيناي مثله " .

وكان " سفيان بن عيينة " أستاذ الشافعي يستفسر منه عن بعض الأحكام الفقهية التي لم يقف عليها .

اجتهاد متصل :

كان الشافعي يقضي الساعات الطوال في دروس متصلة ، ينتقل من علم إلى علم ، يجلس في حلقته إذا صلى الفجر ، فيأتيه من يريدون تعلم القرآن ، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء طلاب الحديث ، فإذا انتهوا جاء بعدهم من يريدون تعلم العربية والعروض والنحو والشعر ، ويستمر الشافعي في دروسه من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر ! وكان – رحمه الله – شاعراً رقيقاً ، فاض شعره بالتقرب إلى الله .

وفاة الشافعي :

توفي الشافعي ليلة الجمعة من آخر رجب ٢٠٤ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل

الإمام اليتيم :

ولد " أحمد بن حنبل " في ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ .

كان والده قائداً في جيش خراسان ، أما جده فكان والياً للأمويين في بلدة تسمى " سرخس " تابعة لبلاد خراسان ، وحين بلغ أحمد من العمر ثلاث سنوات توفى والده ، فنشأ يتيماً ، تكفله أمه ، وتقوم على تربيته والعناية به .

عاش أحمد عيشة فقيرة ، فلم يترك له والده غير مترل ضيق ، مما دفعه إلى العمل وهو طفل صغير . حفظ أحمد القرآن الكريم ، ولما بلغ أربع عشرة سنة ، درس اللغة العربية ، وكان يحب العلم كثيراً حتى إن أمه كانت تخاف عليه من التعب الذي يبذله في التعلم ، وقد حدث ذات يوم أنه راد أن يخرج للمكان الذي يتعلم فيه الصبية قبل طلوع الفجر ، فجذبته أمه من ثوبه ، وقالت له : يا أحمد انتظر حتى يستيقظ الناس .

على عتبات السنة :

ومضت الأيام حتى بلغ أحمد الخامسة عشرة من عمره فأراد أن يتعلم أحاديث النبي صلى الله علي وسلم من كبار العلماء والشيوخ ، فلم يترك شيخاً في بغداد إلا وقد استفاد منه . ومن شيوخه : أبو يوسف ، وهشيم بن مشير .

رحلة التعلم :

فكّر أحمد أن يطوف ببلاد المسلمين ليلتقي بكبار علمائها وشيوخها لينقل عنهم الأحاديث التي حفظوها .

فزار الكوفة والبصرة ، ومكة والمدينة ، واليمن ، والشام ، والعراق ، وفارس ، وغيرها من بلاد الإسلام .

وكان في رحلاته إذا لم يجد دابة يركبها ، يمشي حتى تتشقق قدماه ، وظل أحمد ينتقل من بلد إلى آخر ، ليتعلم الحديث حتى أصبح من كبار العلماء . سأله أحد أصحابه ذات يوم : إلى متى تستمر في طلب العلم ، وقد أصبحت إماماً للمسلمين ؟! فقال له : " مع المحبرة إلى المقبرة " .

محدث عصره :

لم يكن في عصره أحد أحفظ منه لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى سَمَّوْه إمام السنة وفقيه المحدثين ، وقالوا : إنه كان يحفظ ألف ألف حديث !! شملت المكرر من الحديث والآثار ، وفتوى التابعين ونحو ذلك .

ثم جلس في المسجد الجامع ببغداد سنة (٢٠٤ هـ) وعمره أربعون سنة ، ليعلم الناس ؛ فأقبل الناس على درسه إقبالاً عظيماً ، فكانوا يذهبون إلى المسجد في الصباح الباكر ليتخذوا لهم مكاناً يجلسون فيه .

وكان أغلى شيء عند الإمام أحمد بن حنبل ما جمعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حدث ذات يوم أن سرق لص منزله ، فلما جاء لم يسأل عن شيء إلا عن الأوراق التي يكتب فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما وجدها اطمأن قلبه و لم يحزن على ما سرق منه .

قال عن نفسه : ما كتبتُ حديثاً إلا وقد عملتُ به .

محنة الإمام :

كان الإمام أحمد زاهداً ، يرضى بالقليل ، وقد تعرض للتعذيب والأذى بسبب شجاعته في مواجهة الفتن والبدع التي حدثت في زمانه ، فسجن في عهد الخليفة المعتصم ، عامين ونصف ، ثم خرج منه مريضاً يشتكي من الجراح ، وظل في منزله بعض الوقت ؛ حتى شفى وعاد إلى درسه ، ولما تولى الخليفة " الواثق " الخلافة ، لم يتعرض الإمام أحمد للإيذاء ، لكنه منعه من الاجتماع بالناس ، فظل معزولاً عنهم ، حتى مات الخليفة " الواثق " ، وتولى " المتوكل " الذي عامله معاملة حسنة وعرض عليه المال ، فرفضه ، لكنه ألح عليه أن يأخذه ، فتصدق به كله على الفقراء .

ورغم انشغاله بالعلم ، وضيق وقته ، فقد كان من أنظف الناس بدناً ، وأنقاهم ثوباً ، شديد الاهتمام بشعره .

وكان أحمد يميل إلى الفقراء ، ويقربهم منه في مجلسه ، وكان حليماً ، متواضعاً ، سخياً ، شديد الغضب لله .

والإمام أحمد مؤسس المذهب الحنبلي:

تراث ابن حنبل :

ترك الإمام أحمد كتباً كثيرةً : منها : " المسند " وهو موسوعة حديثية يحتوي على أربعين ألف حديث ، و " الناسخ والمنسوخ " ويُنسب له كتاب " الزهد " .

النهاية :

توفى الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – في ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ٢٤١ هـــ ، وصلى عليه ست مائة ألف إنسان .

اشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة هذا الجيل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.



منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com

سلسلة المشاهير (١)

أشهر الفقهاء

أبو حنيفة النعمان، مالك بن أنس
الشافعي، أحمد بن حنبل

إعداد

مسعود صبري إبراهيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الأئمة الأربعة مصطلح اشتهر بين خاصة المسلمين وعامتهم ، إذ كتب الله لهؤلاء الأئمة توفيقاً ونجاحاً نادر المثيل ، حتى أصبح يؤخذ بآرائهم في كثير من الفتاوى والأحكام ، وقد شهد لهم بالفضل أهل العلم ، قال النضر ابن شميل عن أبي حنيفة : كان الناس نياماً في الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة . وقيل عنه : لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه ؛ لرجح علمه عليهم . وقال أحمد بن حنبل لولده عبد الله : يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن . وقيل عن مالك : لا يفتى ومالك في المدينة . أمام الإمام أحمد فلا ينكر فضله إلا جاحد .

لقد أثرى الأئمة الأربعة الفقه إثراء رائعاً ، وتتلمذ على أيديهم أناس حرروا مسائل العلم ، ونشروه في أرجاء المعمورة ، وكان مرجع الأئمة في فقههم كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم الاجتهاد ، وكان كل منهم يرى ترك رأيه إذا خالف الكتاب والسنة .

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت

كان كثير العبادة ، لا ينام الليل إلا قليلاً ؛ حتى سموه " الوتد " لكثرة صلاته ، يبكي حتى يسمع جيرانه بكاءه فيشفقون عليه مما هو فيه من خوف ووجل من الله !!

مولد الإمام :

كان الأب " ثابت " تاجراً غنياً أسلم فحسن إسلامه ، قيل : إنه التقى بالإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ، فدعا له الإمام ولذريته بالخير والبركة ، واستجاب الله الدعاء ، ورزق الله ثابتاً بطفل أسماه النعمان وكناه " أبا حنيفة النعمان بن ثابت " ، وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الكوفة .

في طريق العلم :

تلقى أبو حنيفة العلم على يد شيوخ وأساتذة كبار ، منهم : فقيه الكوفة " حماد بن أبي سليمان " ، و " الإمام جعفر الصادق " و " عطاء " و " الزهري " و " قتادة " وغيرهم ، وكان " حماد " من أكثر شيوخه الذين يحبهم ؛ وبعد موت حماد جاء الناس إلى " أبي حنيفة " يطلبون منه أن يعلمهم أمور دينهم ؛ فقبل أبو حنيفة ، وأخذ يدرس للناس حتى اشتهر فقهه بين البسطاء والأمراء ، لكنه لم يَنْسَ فضل شيخه وأستاذه " حماد " بل ظل يدعو له حتى قال أبو حنيفة : " ما صليتُ قط إلا ودعوتُ لشيخي حماد ولكل من تعلمتُ منه علماً أو علمته " .

حياته وأخلاقه :

كان أبو حنيفة يهتم بمظهره ، فيكثر التعطر ، ويُرَى وقوراً حليماً ، كما كان كريماً ، وتاجراً أميناً ، ظل يعمل بتجارة الخزّ طول حياته في دكانه المعروف بالكوفة .

وكان واسع الصدر هادئ الطبع في حديثه ، وكان يخاف عاقبة الظلم ؛ لذا رفض تولي القضاء، للخليفة المنصور العباسي .

قوام الليل :

سمع أبو حنيفة رجلاً يقول لآخر : هذا أبو حنيفة لا ينام الليل . فقال : والله لا يتحدث عني بما لم أفعل . فكان يحيي الليل صلاة وتضرعاً . وكان يتورع عن القسم خشية الهلاك ، حتى إنه جعل على نفسه إن حلف بالله صادقاً أن يتصدق بدينار .

أستاذ الأحناف :

أبو حنيفة مؤسس المذهب الحنفي ، وقد انتشر مذهبه في العراق والهند وبلاد المشرق ، وتأخذ مصر بمذهبه في قانون الأحوال الشخصية .

يقول عنه الشافعي : " الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة " ، وقال عنه النضر بن شميـــل : كان الناس نياماً في الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة . وقيل : لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهـــل زمانه ؛ لرجح علمه عليهم .

وقال عنه ابن المبارك : " ما رأيت في الفقه مثل أبي حنيفة " . وقال عنه يزيد بن هارون : " ما رأيت أحداً أحلم من أبي حنيفة " .

وفاة الإمام أبي حنيفة :

توفى سنة ١٥٠ هـــ ، وصلى عليه خمسون ألف رجل ، ودفن في بغداد ، ويقال أنه مات في ليلة مولد الشافعي .

الإمام مالك بن أنس

مولد الإمام ونشأته :

ولد الإمام سنة ٩٣ هـ بالمدينة المنورة ، ونشأ في أسرة تشتغل بالعلم ، فجده : " مالك بن أبي عامر " من كبار التابعين ؛ فشجعه ذلك على حفظ القرآن الكريم ، فأتم حفظه وأتقن تلاوته ، لكنه لم يكتف بذلك بل إنه أراد حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فذهب إلى أمه وقال لها : يا أماه إني أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأريد أن أحفظ أحاديثه ، فكيف لي بذلك ؟! ابتسمت أمه ، وضمته إليها ، ثم ألبسته ثياباً جميلة وعممته وقالت له : اذهب إلى " ربيعة الرأي " – وكان فقيهاً كبيراً – وتعلم من أدبه قبل علمه . فكان يستمع إلى شيخه وينهل من علمه ، وبعد انتهاء الدرس يسرع بالجلوس تحت ظلال الأشجار ليحفظ ما سمعه من معلمه ؛ حتى لا ينساه ، وقد رأته أخته ذات مرة وهو على هذه الحال ؛ فذهبت إلى أبيها وقصت عليه ما شاهدته ، فقال لها : يا بنيتي إنه يحفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم . وكان " مالك بن أنس " كغيره من الأطفال يحب اللعب ؛ فشغله عن العلم قليلاً فسأله أبوه يوماً في مسألة هو وأخوه النضر ، فأصاب النضر ، وأخطأ مالك ؛ فغضب والده ، فكان ذلك سبباً في اجتهاده في العلم ، فذهب من فوره إلى " ابن هرمز " فأخذ عنه العلم سبع سنوات ، حتى قال عنه يوماً : ذلك عالم الناس !! ثم ذهب إلى نافع مولى عبد الله بن عمر ، فأخذ عنه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم لازم المحدث " ابن شهاب الزهري " ، وحرص ألا يفوته درس من دروس هذا الشيخ ، حتى يوم العيد نفسه .

عالم المدينة :

ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين كمالك في العلم والفقه ، ولم يجلس للفتوى حتى شهد له سبعون من جلة العلماء أنه أهل لذلك .

واشتهر مالك بكتابه " الموطأ " وهو كتاب حديث وفقه معاً ، وقد عمل فيه نحو أربعين عاماً، والإمام مالك مؤسس المذهب المالكي . وقد مات بالمدينة سنة ١٧٩ هـ .

الإمام الشافعي

المولد والنشأة :

في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ ، ولد " محمد بن إدريس الشافعي " في نفس العام الذي توفى فيه " أبو حنيفة " ، ويلتقي الشافعي مع الرسول صلى الله عليه وسم في الجدّ الأعلى .

نشأ يتيماً ، لكن أمه الطاهرة عوضته بحنانها عن فقدان أبيه ، وانتقلت به من مكة وهو ابن سنتين ، ففيها أهله وعشيرته وعلماء الإسلام ، وظلت تربيه تربية صالحة ، وترعاه ، وتأمل أن يكون من العلماء الصالحين .

حفظ الشافعي القرآن الكريم وسنه سبع سنين ، ثم شرع في حفظ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان الشافعي يجمع قطع الجلود وسعف النخيل وعظام الجمال ليكتب عليها ، لأنه لم يكن لديه مالاً يشتري به الورق .

وكان الشافعي يتقن الرمي ، حتى كان يرمي عشرة سهام ، فلا يخطئ في سهم واحد منها .

ثم أرسلته أمه إلى قبيلة " هذيل " في البادية ؛ فمكث بينهم سبع سنين يتعلم لغتهم ، ويحفظ أشعارهم ، حتى عاد إلى مكة فصيح اللسان .

تلميذ مالك :

رحل الشافعي إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليلتقي بعالم المدينة الإمام مالك ، ولما التقى به قال له الإمام مالك : إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نوراً ، فلا تطفئه بالمعصية ، واتق الله فإنه سيكون لك شأن .

رحلة العلم :

وظل الشافعي يتتلمذ على يد الإمام مالك بن أنس – رحمه الله – حتى وفاته .

ثم رحل الشافعي إلى العراق فأخذ العلم على يد محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة وغيره ، ثم ترك بغداد إلى مكة حيث تعلم على يد " مسلم بن خالد الزنجي " ، و " سفيان بن عيينة " ، وفي الحرم المكي أخذ الشافعي يلقي دروسه ، وحضر مجلسه أناس من جميع الأقطار والبلدان ، والتقى به كبار العلماء وخاصة في مواسم الحج .

ثم عاد مرة أخر إلى بغداد سنة ١٩٥ هـ ، وكان له بها مجلس علم يحضره العلماء يستزيدون من علمه ، ويقصده الطلاب من كل مكان .

الشافعي في مصر :

جاء الشافعي إلى مصر عام ١٩٨ هـ ، لينشر مذهبه فيها ، وليبتعد عن الاضطرابات السياسية في العراق .

وألقى دروسه بجامع " عمرو بن العاص " وأحبه المصريون وأحبهم ، وبقي في " مصر " خمس سنوات قضاها كلها في التأليف والتدريس والمناظرة والرد على الخصوم ومن أشهر مؤلفاته : كتاب " الأم " في الفقه ، وكتاب " الرسالة " في أصول الفقه ، وهو أول كتاب فيه هذا العلم .

منزلته بين العلماء :

لقي الشافعي تقديراً كبيراً مِن فقهاء عصره ومَن بعدهم ، فقال أحمد بن حنبل لولده عن الشافعي : يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن . وقيل عنه :

ومَنْ يَكُ عِلمُ الشافعي إمَامَه　　　فمرتعُهُ في باحة العلم واسعُ

وكان أحمد بن حنبل – أحد تلاميذه – يحرص على ألا يفوته درس الشافعي ، ويقول لأحد أصحابه : " يا أبا يعقوب ، اقتبس من الرجل ، فإنه ما رأت عيناي مثله " .

وكان " سفيان بن عيينة " أستاذ الشافعي يستفسر منه عن بعض الأحكام الفقهية التي لم يقف عليها .

اجتهاد متصل :

كان الشافعي يقضي الساعات الطوال في دروس متصلة ، ينتقل من علم إلى علم ، يجلس في حلقته إذا صلى الفجر ، فيأتيه من يريدون تعلم القرآن ، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء طلاب الحديث ، فإذا انتهوا جاء بعدهم من يريدون تعلم العربية والعروض والنحو والشعر ، ويستمر الشافعي في دروسه من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر ! وكان – رحمه الله – شاعراً رقيقاً ، فاض شعره بالتقرب إلى الله .

وفاة الشافعي :

توفى الشافعي ليلة الجمعة من آخر رجب ٢٠٤ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل

الإمام اليتيم :

ولد " أحمد بن حنبل " في ربيع الأول سنة ١٦٤ هـــ .

كان والده قائداً في جيش خراسان ، أما جده فكان والياً للأمويين في بلدة تسمى " سرخس " تابعة لبلاد خراسان ، وحين بلغ أحمد من العمر ثلاث سنوات توفى والده ، فنشأ يتيماً ، تكفله أمه ، وتقوم على تربيته والعناية به .

عاش أحمد عيشة فقيرة ، فلم يترك له والده غير مترل ضيق ، مما دفعه إلى العمل وهو طفـــل صغير . حفظ أحمد القرآن الكريم ، ولما بلغ أربع عشرة سنة ، درس اللغة العربية ، وكان يحب العلم كثيراً حتى إن أمه كانت تخاف عليه من التعب الذي يبذله في التعلم ، وقد حدث ذات يوم أنه راد أن يخرج للمكان الذي يتعلم فيه الصبية قبل طلوع الفجر ، فجذبته أمه من ثوبه ، وقالت له : يا أحمـــد انتظر حتى يستيقظ الناس .

على عتبات السنة :

ومضت الأيام حتى بلغ أحمد الخامسة عشرة من عمره فأراد أن يتعلم أحاديث النبي صلى الله علي وسلم من كبار العلماء والشيوخ ، فلم يترك شيخاً في بغداد إلا وقد استفاد منه . ومن شيوخه : أبو يوسف ، وهشيم بن مشير .

رحلة التعلم :

فكّر أحمد أن يطوف ببلاد المسلمين ليلتقي بكبار علمائها وشيوخها لينقل عنهم الأحاديث التي حفظوها .

فزار الكوفة والبصرة ، ومكة والمدينة ، واليمن ، والشام ، والعراق ، وفارس ، وغيرها مـــن بلاد الإسلام .

وكان في رحلاته إذا لم يجد دابة يركبها ، يمشي حتى تتشقق قدماه ، وظل أحمد ينتقل من بلد إلى آخر ، ليتعلم الحديث حتى أصبح من كبار العلماء . سأله أحد أصحابه ذات يوم : إلى متى تستمر في طلب العلم ، وقد أصبحت إماماً للمسلمين ؟! فقال له : " مع المحبرة إلى المقبرة " .

محدث عصره :

لم يكن في عصره أحد أحفظ منه لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى سَمَّوْه إمام السنة وفقيه المحدثين ، وقالوا : إنه كان يحفظ ألف ألف حديث !! شملت المكرر من الحديث والآثار ، وفتوى التابعين ونحو ذلك .

ثم جلس في المسجد الجامع ببغداد سنة (٢٠٤ هـ) وعمره أربعون سنة ، ليعلم الناس ؛ فأقبل الناس على درسه إقبالاً عظيماً ، فكانوا يذهبون إلى المسجد في الصباح الباكر ليتخذوا لهم مكاناً يجلسون فيه .

وكان أغلى شيء عند الإمام أحمد بن حنبل ما جمعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حدث ذات يوم أن سرق لص منزله ، فلما جاء لم يسأل عن شيء إلا عن الأوراق التي يكتب فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما وجدها اطمأن قلبه و لم يحزن على ما سرق منه .

قال عن نفسه : ما كتبتُ حديثاً إلا وقد عملتُ به .

محنة الإمام :

كان الإمام أحمد زاهداً ، يرضى بالقليل ، وقد تعرض للتعذيب والأذى بسبب شجاعته في مواجهة الفتن والبدع التي حدثت في زمانه ، فسجن في عهد الخليفة المعتصم ، عامين ونصف ، ثم خرج منه مريضاً يشتكي من الجراح ، وظل في منزله بعض الوقت ؛ حتى شفى وعاد إلى درسه ، ولما تولى الخليفة " الواثق " الخلافة ، لم يتعرض الإمام أحمد للإيذاء ، لكنه منعه من الاجتماع بالناس ، فظل معزولاً عنهم ، حتى مات الخليفة " الواثق " ، وتولى " المتوكل " الذي عامله معاملة حسنة وعرض عليه المال ، فرفضه ، لكنه ألح عليه أن يأخذه ، فتصدق به كله على الفقراء .

ورغم انشغاله بالعلم ، وضيق وقته ، فقد كان من أنظف الناس بدناً ، وأنقاهم ثوباً ، شديد الاهتمام بشعره .

وكان أحمد يميل إلى الفقراء ، ويقربهم منه في مجلسه ، وكان حليماً ، متواضعاً ، سخياً ، شديد الغضب لله .

والإمام أحمد مؤسس المذهب الحنبلي:

تراث ابن حنبل :

ترك الإمام أحمد كتباً كثيرةً : منها : " المسند " وهو موسوعة حديثية يحتوي على أربعين ألف حديث ، و " الناسخ والمنسوخ " ويُنسب له كتاب " الزهد " .

النهاية :

توفى الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – في ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ٢٤١ هـــ ، وصلى عليه ست مائة ألف إنسان .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيـال الناشـئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسـلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنـشئة هـذا الجيـل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.

سلسلة المشاهير (٦)

أشهر المجاهدين

أسد بن الفرات، يوسف بن تاشفين، عمر المختار

إعداد

عاطف عبد الرشيد



بسم الله الرحمن الرحيم

الجهاد في سبيل الله هو حصن الإسلام الذي يحميه من الضعف والهوان ، وما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل . والمسلمون لا يعشقون القتال حبّا في الدماء ، ولكنهم يعشقون الجهاد ؛ دفاعاً عن أرضهم ، وذوداً عن حياض شريعتهم ، فالحق يحتاج إلى حماية ومنعة ، حتى يظهر في الأفق خفاقاً إذا ما وقف أمامه الباطل .

ومن أهم ملامح التربية في الإسلام تربية الأبناء على حب الجهاد . بل كان الصغار من أبناء الصحابة يتسابقون في ميدان الجهاد ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يردهم لصغر سنهم ، فيبكون لأنهم حرموا الشهادة في سبيل الله تعالى .

وفي هذا الكتاب نماذج من هؤلاء المجاهدين الأفذاذ ، فلنقرأ سيرهم ، ولنجعلهم قدوة لنا في حياتنا ؛ عسى الله أن ينفعنا بهم .

أسد بن الفرات

مولد أسد :

في حرّان من ديار بكر ، ولد أبو عبد الله الحراني ، أسد بن الفرات سنة ١٤٤ هـــ — ٧٦١ م، ثم قدم القيروان وهو ابن سنتين مع أبيه الذي كان من أعيان الجند في جيش محمد بن الأشعث الخزاعي والي إفريقية من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور .

رحلة علم :

تلقى أسد دراسته الأولى بالقيروان ، ثم رحل مع أبيه إلى تونس فأقام بها تسع سنين ، لزم خلالها الفقيه علي بن زياد وتعلم منه وتفقّه عليه ، ثم رحل إلى المدينة المنورة سنة ١٧٢ هـــ — ٧٨٨م ؛ لينهل من علم الإمام مالك . ثم رحل إلى العراق حيث الإمام محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة فلزمه .

وبذلك كان " أسد " أول من جمع بين مذهب الإمام مالك ومذهب الإمام أبي حنيفة ، ثم رحل إلى مصر حيث جمع ما أخذه من ابن القاسم من مسائل ، وأفاض عليها من ذهنه وجعلها في رسالة مدونة سُميت " الأسَدِيَّة " .

من القاع إلى القمة :

توجه أسد إلى " القيروان " سنة ١٨١ هـ ، بعد تعلم عشرين سنة ، لم يصحب فيها إلا الأئمة والعلماء ، حتى قارب الخمسين ، فجلس للتدريس والإفتاء . ومن تلاميذه سحنون بن سعيد ، ومعمر بن منصور ، وسليمان بن عمر .

وتقلد القضاء مع أبي محرز ، فكان أبو محرز فيه ليناً ، وأما أسد فكان شديداً في الحق .

الشيخ المجاهد :

وكان مع توسعه في علمه فارساً شجاعاً ، فقد طلب أن يكون مع المجاهدين في الحرب ضد الروم في جزيرة صقلية فرفض الأمير خوفاً عليه ، فألح أسد في طلبه وقال : وجدتم من يُسَيِّر لكم المراكب من النوتية (الملاحين) وما أحوجكم إلى مَنْ يُسَيِّرها لكم بالكتاب والسنة . ولما أُعطي الإمارة قال للأمير : أَبَعْدَ القضاء والنظر في الحلال والحرام تعزلني وتوليني الإمارة ؟! فقال : ما عزلتك عن القضاء ، ولكن أضفت إليك الإمارة . وكان أول من جُمع له المنصبان .

أسد العالم :

واجتمع الناس لوداع الجيش والأمير أسد بن الفرات ، فقال أسد للناس : " والله يـــا معـــشر الناس ما ولى لي أب ولا جد ولاية قط ، وما رأى أحد من أسلافي مثل هذا قط ، ومـــا بلغتـــه إلا بالعلم، فعليكم بالعلم ، أتعبوا فيه أذهانكم ، وكدوا به أجسادكم ؛ تبلغوا به الدنيا والآخرة " .

وزحف الجيش إلى صقلية سنة (٢١٢ هـــ – ٨٢٧ م) ، وخرج لهم صاحب صقلية في مائة ألف وخمسين ألفاً . قال رجل : رأيتُ أسداً وبيده اللواء يقرأ سورة " يس " ، ثم حمل بالجيش حملة عنيفة على صاحب صقلية ، حتى سقط أسد بن الفرات شهيداً سنة (٢١٣ هـــ – ٨٢٨ م) ، وهو يحمل راية النصر و لم يُعْرَفْ له قبر .

يوسف بن تاشفين

في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، في أقصى بلاد المغرب العربي ، التفت جماعة من الناس حول عالم فقيه يدعى " عبد الله بن ياسين " وكان هدفهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونشر تعاليم الإسلام .

أطلق عليهم الملثمون لأنهم كانوا يتلثمون ولا يكشفون وجوههم ، وهي عادة لهم كانوا يتوارثونها جيلاً بعد جيل ، وحين قتل عبد الله بن ياسين سنة ٤٦١ هـ — ١٠٦٨ م ، في حرب جرت مع برغواطة قام مقامه أبو بكر بن عمر الذي عين ابن عمه يوسف بن تاشفين أميراً على الملثمين ، لانشغاله بقتال عبدة الأصنام في جنوب المغرب ، والقضاء على فتنتهم .

ابن تاشفين أميراً :

وكان يوسف بن تاشفين يتمتع بصفات جعلته محبوباً ؛ فهو شهم ، حازم ، شجاع ، قادر على القيادة والزعامة ؛ مما جعل الناس تلتف حوله ، وتساعده في العمليات العسكرية ، ونشر تعاليم الإسلام في المغرب الأقصى ، وبناء دولة المرابطين .

ولما عاد أبو بكر بن عمر بعد قضائه على الفتنة وجد يوسف بن تاشفين يتمتع بمكانة عالية بين جنده ورعيته . فتنازل له رسميًا عن السلطة وخلع نفسه .

عاصمة الملك :

اتخذ ابن تاشفين مدينة " مراكش " التي أنشأها عاصمة لملكه سنة ٤٦٥ هـ لتكون نقطة الانطلاق لتوحيد قبائل المغرب الأقصى تحت سيطرته ، وبناء دولة قوية ، كما أنشأ أسطولاً بحريًا ، ساعده على ضم المناطق المطلة على مضيق جبل طارق مما سهل ضم المغرب الأوسط ، وأقام ابن تاشفين علاقات سياسية مع جيرانه من أمراء المغرب والمشرق ، كما أحاط نفسه بمجموعة من الأتباع ينظمون أمور الدولة ، فأعطى دولته طابع الملك .

وفي ذلك الوقت كانت الأندلس تعاني من التفكك تحت حكم ملوك الطوائف الذين كانوا يواجهون خطر غزوات المسيحيين ، وسيطرة ملوكهم وتعسفهم في مطالبة الولاة المسلمين بما لا طاقة لهم به .

وكان يوسف يفكر في حال المسلمين في بلاد الأندلس وما يفعله النصارى بهم ، ويتجه إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع ملتمساً منه النصر ، وكان إذا أجبر على الكلام قال : أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين ، ولا يتولى هذا الأمر إلا أنا .

الأمير المنقذ :

استنجد أمراء الأندلس بابن تاشفين لينقذهم من النصارى ، وكان على رأس من استنجد بـه المعتمد بن عباد أمير إشبيلية .

فأعد ابن تاشفين جيشه وقبل أن يعبر البحر نحو الأندلس بسط يديه بالدعاء نحو السماء قائلاً : اللهم إن كنت تعلم أن في جوازنا أي (اجتياز البحر) هذا خيراً للمسلمين ، فسهل علينا جواز هذا البحر ، وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا أجوزه .

والتقى بجيش النصارى بقيادة ألفونسو السادس في موقعة الزلاقة سنة (٤٨٠ هـ – ١٠٨٧ م) وانتصر جيش ابن تاشفين انتصاراً هائلاً وبعدها وحَّد المغرب والأندلس تحت قيادته الخاصة .

أمير المسلمين :

رأى شيوخ المرابطين ما يقوم به يوسف من أعمال عظيمة فاجتمعوا عليه وقالوا لـه : أنـت خليفة الله في المغرب وحقك أكبر من أن تدعى بالأمير ، بل ندعوك بأمير المؤمنين . فقال لهم : حاشا لله أن أتسمى بهذا الاسم ، إنما يتسمى به الخلفاء ، وأنا رجل الخليفة العباسي ، والقائم بدعوتـه في بلاد المغرب . فقالوا له : لا بد من اسم تمتاز به ، فقال لهم يكون : أمير المسلمين .

وبعد انتهاء موقعة الزلاقة بايعه من شهدها معه من ملوك الأندلس وأمرائهـا أمـيراً علـى المسلمين، وكانوا ثلاثة عشر ملكاً .

نهاية الزحف الأصفر :

استطاع يوسف بن تاشفين أن يوقف زحف جيوش النصارى ، وأن يعيد ما استولوا عليه من الأندلس ، وقد امتدت دولته فشملت الأندلس والمغرب الأقصى ، وازدهرت الـبلاد في عـصره ، وضرب السكة (أي العملة) ، ونقش ديناره : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وتحت ذلك : أمـير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وكتب في الدائرة : (**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) . وكتب على الوجه الآخر من الدينار : الأمير عبد الله : أمير المـؤمنين العباسي ، وفي الدائرة تاريخ ضرب الدينار وموضع سكه .

وكان ابن تاشفين كثيرَ العفو ، مقرباً للعلماء ، وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند اسـتماع الموعظة ، ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه .

محطة النهاية :

ولما بلغ الإمام أبا حامد الغزالي ما عليه ابن تاشفين من الأوصاف الحميدة وميله إلى أهل العلم، عزم على التوجه إليه فوصل الإسكندرية ، وشرع في تجهيز ما يحتاج إليه ، وعندما وصله خبر وفـاة ابن تاشفين رجع عن ذلك العزم .

ففي سنة ٤٩٨ هـ أصيب يوسف بن تاشفين بمرض أدى إلى وفاته ودفن في مدينة راكش .

وقال عنه المستشرق يوسف أشباخ : يوسف أحد أولئك الرجال الأفذاذ الذين يلوح أن القدر قد اصطفاهم لتغيير وجهة سير الحوادث في التاريخ ، فقد بثَّ بما استخدم من نظم وأساليب روحـاً قوية في القبائل والشعوب التي يحكمها ، وقد فاضت هذه الروح إلى تحقيق العجائب .

رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين .

عمر المختار

ولد عمر المختار في" البطنان " ببرقة الليبية عام ١٢٧٥ هـــ — ١٨٥٨ م ، لأبوين صالحين ، وشاءت إرادة الله أن ينشأ " عمر المختار " يتيماً ، فقد توفى والده أثناء سفره إلى الحج بعد أن أوصى أحد رفاقه بولديه عمر ومحمد ، وكانا يقيمان ب " زنزور " يدرسان بزاويتها ، ثم توجه عمـــر إلى زاوية " الجغبوب " لإتمام دراسته ، وظل بها ثمانية أعوام يحفظ القـــرآن الكـــريم ، ويـــتعلم العلـــوم الإسلامية. وخلال الدراسة ظهرت صفاته الخلقية السامية .

شيخ الزاوية :

أحبه شيوخ الطريقة السنوسية وزعماؤها ، وكانت لهم مقاليد الأمور في ليبيا ، ونال ثقتهم ، فاصطحبه السيد محمد المهدي السنوسي معه ، عندما انتقل إلى " الكُفْرة " وعينه شيخاً لزاوية القصور بالجبل الأخضر .

وفي سنة ١٩١١ م ، احتل الاستعمار الإيطالي ليبيا ، وارتكبوا الكثير من الفظائع ، وعاثوا في الأرض فساداً ، وبدأ نضال المجاهدين من أبناء ليبيا ، ودعا الزعماء السنوسيون في بني غازي وغيرها شيوخَ الزوايا للجهاد ، وأسرع عمر يلبي النداء ، وأظهر في كفاحه ضد المستعمر شجاعة نـــادرة ، ومقدرة كبيرة على القتال .

قائد المقاومة :

تولى عمر المختار قيادة المجاهدين ، بعد أن سافر الأمير إدريس السنوسي إلى مـــصر في ســـنة ١٩٢٢ م للعلاج ، ولطلب المساعدة من مصر ، فعُين نائباً عنه .

نظم عمر المختار صفوف المجاهدين ، وذهب معهم إلى الجبل الأخـــضر ، وأنـــشأ قاعـــدة عسكرية، ومراكز لتدريب المتطوعين ، فتوافد عليه الناس من كل ناحية ؛ ليشاركوا في الجهاد . فعين لكل قبيلة رئيساً منها ، ولكنهم اختاروه قائداً عامّاً ورئيساً لكل المجاهدين ، بعد أن أقـــسموا علـــى الجهاد حتى آخر لحظة في حياتهم ، حتى يخلصوا وطنهم من أنياب المستعمر .

وازداد القتال شراسة بين المجاهدين والإيطاليين ، وكانت معركة " الرحيبـــة " ، ومعركـــة " عقيرة المطمورة " و " كرِسَّة " ، من أعظم تلك المعارك التي شهدتها منطقة الجبل الأخضر ، وانتهت كلها بانسحاب الإيطاليين مخذولين ، مما دفع المجاهدين أن يلتفوا حول عمر المختار ، ويتعاهدوا على مناصرته .

كمين فاشل :

انتشر القتال في كل أنحاء ليبيا ، فقرر عمر المختار الذهاب إلى مصر لمقابلة الأمير إدريس السنوسي ليتلقى منه التعليمات بشأن الجهاد .

وفي طريق عودته من مصر إلى برقة عن طريق السلوم أبلغ جواسيس الجيش الإيطالي رؤساءهم أن عمر المختار عبر الحدود الشرقية ، فأعدوا له كميناً للقبض عليه ، وما إن ظهر عمر المختار ورفاقه؛ حتى أطلق عليهم العدو مدافعهم الرشاشة ، لكن المجاهدين استطاعوا التصدي لهم وانقضوا على القوة الإيطالية وأبادوها عن آخرها .

و لم يعرف المجاهد الكبير طعم الراحة ، وحاول مشايخ قبيلته ، ذات مرة منعه من الجهاد لكبر سنه ، فقال لهم : إن ما أسير فيه هو طريق الخير ، ومن يعدني عنه فهو عدو لي ، ولا ينبغي لأحد أن ينهاني عنه .

و لم يفلح الجيش الإيطالي في وقف هجمات عمر المختار ورفاقه ، فحاولوا استمالته وشراءه بالمال ، ووعدوه بحياة ناعمة ، لكنه رفض ، وأخذ يدافع عن وطنه بكل قوة وشراسة ، وألحق بالإيطاليين خسائر كبيرة ؛ مما دفع " موسوليني " إلى تعيين الماريشال بادوليو حاكماً على " طرابلس وبرقة " .

اتصل الحاكم الجديد بعمر المختار لإنهاء الخلاف ، وقبل عمر بشروط فيها الكرامة والعزة لوطنه ، لكن الإيطاليين حاولوا خداعه ، وتأكد غدرهم عندما قامت الطائرات الإيطالية بإلقاء قذائفها على عمر المختار ورفاقه من المجاهدين ، فبدأ النضال من جديد !

اشتبك المجاهدون مع أعدائهم في معركة كبيرة في أكتوبر عام ١٩٣٠ م ، وعثر الإيطاليون بعد انتهائها على نظارة عمر المختار ، وجواده المشهور مقتولاً في ميدان المعركة ، فقال جرازياني نائب المارشال بادوليو متوعداً : لقد أخذنا اليوم نظارة عمر المختار ، وغداً نأتي برأسه .

نهاية الشيخ :

ظل عمر المختار يقاوم وهو متسلح بالإيمان حتى وقع في الأسر ؛ ففرحت إيطاليا كلها فرحاً شديداً .

ودعيت المحكمة إلى الانعقاد ، ونصبت المشنقة ، وجاءوا بالبطل الكبير عمر المختار مقيد اليدين ، وحكموا عليه بالإعدام شنقاً في محاكمة صورية لم تستغرق سوى ساعة وربع الساعة ، وكان الشيخ آنذاك في السبعين من عمره ، وسار المجاهد الكبير إلى حبل المشنقة بقدم ثابتة وشجاعة

نادرة ، لا يتوقف لسانه عن ترديد الشهادتين ؛ حتى قُتِلَ شنقاً ، وصعدت روحه الطاهرة إلى الله عز وجل .

واستشهد البطل بعد أن غرس الحرية والكرامة في نفوس شعبه ، ثم حقق الله ما تمناه ، فقـــد أشرقت شمس الحرية على ليبيا من جديد ، ورحلت إيطاليا عنها ، وحصلت على استقلالها ١٩٥١م.

اشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة هذا الجيل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.



سلسلة المشاهير (٥)

أشهر المفسرين

ابن جرير الطبري، محمود الآلوسي، سيد قطب

إعداد

أحمد محمود الخولي



بسم الله الرحمن الرحيم

لم تهتم أمة من الأمم بكتابها كما اهتمت أمة الإسلام بالقرآن الكريم ، فبرز تأثير القرآن واضحاً في كتابات علماء المسلمين ، بدءاً بتفسيره ، ومروراً ببيان أحكام تجويده وتلاوته ، وتوضيح إعجازه اللغوي والعلمي ، وإبراز أحكامه الفقهية ، وعقيدته ، وأصوله ، وأخلاقه ، وآدابه وسلوكه.

وقد تعددت مذاهب تفسير القرآن ، من التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي ، والتفسير اللغوي ، والتفسير العلمي ، والتفسير الاجتماعي ، والتفسير الموضوعي ، وغير ذلك .

وقد برز للتفسير علماء في كل عصر ، فمن الصحابة : الخلفاء الأربعة ، وابن عباس ، وابن مسعود ، والسيدة عائشة ، وأبو موسى الأشعري ، وغيرهم . ومن التابعين : تلاميذ ابن عباس . ومِنْ بعدهم الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير . وفي كل عصر إلى يوم الدين .

ابن جرير الطبري

مولد الطبري :

في بلاد طبرستان . . بلاد العلم والأدب والفقه ، وفي أجمل مدنها . مدينة " آمُل " العريقة عاصمة طبرستان ، التي تقع الآن في دولة أذربيجان ، جنوب بحر قزوين ، وُلد حجّة العلوم ، وعالم العلماء في عصره ، الإمام محمد بن جرير الطبري ، سنة ٢٢٤ هـ .

ولُقِّب بالطبري لأن أهل طبرستان جميعاً يُنْسَبون إليها ؛ فيقال لكل واحد منهم طبري .

رؤيا الخير :

لم يكد الطبري يبلغ السن التي تؤهله للتعلم حتى عهد به والده إلى علماء (آمُل) ، وسرعان ما تفتح عقله ، وبدت عليه علامات النبوغ ، فكان هذا النبوغ المبكر حافزاً لأبيه على إكمال تعليم ابنه ، وبخاصة أنه رأى رؤيا تفاءل من تأويلها ، قال الطبري : رأى أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعي مِخلاة مملوءةٌ بالأحجار ، وأنا أرمي بين يديه . وقصَّ رؤياه على مفسر للأحلام ، فقال له : إن ابنك إن كبر نصح في دينه ، ودافع عن شريعته . فحرص أبي على معونتي من أجل طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير .

رحلة العلم :

أخذ ابن جرير الطبري يرحل في طلب العلم ، فتعلم الفقه ببغداد ، والمغازي والسير في الكوفة، ثم توجه ناحية مصر ، وفي طريقه إليها مر ببيروت ، وقضى بها عدة أيام حتى قرأ القرآن برواية الشاميين ، ثم واصل مسيرته .

وفي مصر تلقى الطبري العلم ، فأخذ من علمائها قراءة " حمزة " و " وَرْش " ، ثم عاد إلى بغداد مرة أخرى . وانقطع للعلم والدراسة والتأليف في كثير من الأوقات ، وكان يتاجر بقية الوقت، ليأتي برزقه .

وكان الطبري عالي الهمة ، عظيم الاجتهاد ؛ ومما يحكى عنه : أن رجلاً جاءه يسأله في العَرُوض (وهو علم يعرف به الشعر من النثر) ، ولم يكن الطبري له إلمام كبير بهذا العلم ، فقال له : عليَّ قولٌ ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض ، فإذا كان في غد فتعالَ إليّ . ثم طلب أبو جعفر كتاب العروض . فتدارسه في ليلته ، وقال : أمسيت غيرَ عَرُوضي ، وأصبحت عروضيّاً .

إمام عصره :

وقد تمكن ابن جرير من نواحي العلم ، وأدلى بدلوه فيها ، حتى أصبح إمام عصره بغير منازع، وقد قيل عنه : كان للقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن ، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه ، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو .

وظل الطبري أربعين عاماً يكتب كل يوم أربعين ورقة ، قاصداً بذلك وجه الله ، بما ينفع به الإسلام والمسلمين .

العابد الزاهد :

وكان – رحمه الله – من العباد الزهاد ، يقوم الليل ، نظيفاً في ظاهره وباطنه ، ظريفاً ، حسن العشرة ، مهذباً في جميع أحواله .

مؤلفات الطبري :

من مؤلفاته العظيمة : تفسير القرآن المعروف بتفسير الطبري في ٣٠ جزءاً وهو من أجلِّ التفاسير وأعظمها ، و " تاريخ الرسل والملوك " في ١١ مجلداً وهو يعد أَوْفَى عمل تاريخي بين مصنفات العرب ، و " لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام " ، وغير ذلك الكثير .

الوفاة :

في يوم السبت ٢٨ من شوال سنة ٣١٠ هـ فاضت روحه إلى بارئها ، تاركاً للمسلمين تراثاً علميّا ضخماً ، نفع الإسلام والمسلمين . فجزاه الله خير الجزاء .

شهاب الدين محمود الآلوسي

المولد والنشأة :

في سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٥٢ م ، سعدت بغداد بميلاد أبي الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي، أمير المفسرين في العصر الحديث .

تطلع منذ صغره إلى العلم ، فأخذ العلم عن كبار العلماء في عصره أمثال الشيخ خالد النقشبندي والشيخ علي السويدي ، فضلاً عن والده الذي تعلم على يديه .

النبوغ والذكاء :

ظهرت علامات النبوغ والذكاء على شهاب الدين الآلوسي منذ صغره ، حتى إنه اشتغل بالتدريس وهو في الثالثة عشرة من عمره . وهبه الله قوة الذاكرة ، يقول عن نفسه : ما استودعت ذهني شيئاً فخانني ، ولا دعوت فكري لمعضلة إلا وأجابني .

لم يترك الآلوسي علماً من علوم الدين إلا وقرأ فيه ، فكان يسهر الليالي ، ويضحي براحته وصحته طلباً للمعرفة ، ورغم هذا المجهود الكبير الذي كان يبذله فإنه كان يشعر بسعادة كبيرة .

بيت العلم :

وفي داره قام بتدريس علوم الدين ، فتتلمذ على يديه الكثيرون ، ولم يكن يفيض عليهم من علمه الواسع فحسب ، بل كان يعطف عليهم ويرعاهم ، ويعطيهم من ملبسه ومأكله ويسكنهم بيته!!

رحلة التفسير :

ترك الآلوسي منصب الإفتاء بالعراق ، وتفرغ لتفسير القرآن الكريم ، وتعلقت نفسه رغبة لإتمام هذا العمل ، فكان في أحيان كثيرة يقوم من نومه ، ويترك فراشه حين يخطر بذهنه معنى جديد لم يذكره المفسرون السابقون عليه ، ولا يهدأ له بال حتى يسجل خواطره في كراريسه ، وعندئذ يعود إليه الهدوء ، ويزول عنه القلق والتوتر ، ويذهب إلى فراشه حيث يستسلم للنوم .

معالم التفسير :

يجمع الإمام الآلوسي في تفسيره كل ما كتبه غيره في التفسير ، وينقيها من كل شائبة (الإسرائيليات) ، ويظهر الحقيقة جلية واضحة ، كل ذلك في أسلوب رائع جذاب ، حتى أصبح تفسيره الذي سمى : " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " من أحسن التفاسير ،

جامعاً لآراء السلف ، مشتملاً على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية ، فهو جامع لخلاصة كل ما سبقه من كتب التفاسير .

مؤلفات الآلوسي :

وكانت مؤلفات الإمام الآلوسي في أنواع مختلفة من العلوم والمعارف ، أهمها تفسيره الـــشهير بتفسير الآلوسي ، ودقائق التفسير ، وغرائب الاغتراب ، وغير ذلك من الكتب .

وفاة شيخ المفسرين :

توفى الإمام الكبير في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـــ — ١٨٥٤ م بعد أن ملأ الأرض علماً ، ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في الكرخ .

سيد قطب

مولد الشهيد :

في أسرة متوسطة الحال بقرية " موشا " بمحافظة أسيوط بمصر ، ولد " سيد قطب " في عـــام ١٩٠٦ م .

عيشة الرفاهية :

ونشأ بين أحضان أسرته ، واستطاع والده " إبراهيم " أن يوفر له حياة أحسن حالاً من أهل قريته الذين كانوا يعيشون في حياة الفقر والجهل .

حياة الكُتَّاب :

دخل " كُتَّاب " القرية ، ثم هجره بعد فترة ، والتحق بمدرسة القرية ، وتمكن من حفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً في نهاية الصف الرابع .

ويتحدث عن نفسه فيقول : لقد قرأت القرآن وأنا طفل صغير ، ولا ترقى مداركي إلى آفاق معانيه ، ولا يحيط فهمي بجليل أغراضه ، ولكن كنت أجد في نفسي شيئاً ، لقد كان خيالي الساذج الصغير يجسم لي بعض الصور من خلال تعبير القرآن ، وإنها لصورة ساذجة ولكنها كانت تـــشوق نفسي وتلذ حسي ، فأظل فترة غير قصيرة أتملاها ، وأنا بها فرح ، ولها نشيط .

طفولة مع القرآن :

لقد كان سيد قطب في طفولته يستمع إلى آيات القرآن ، ولا يستطيع فهم معانيها ، لكنه كان يتخيل ويتصور معاني القرآن الكريم ، ويشعر بسعادة غامرة ، وفرح شديد يملك عليه قلبه .

وهذا الخيال الواسع لدى الطفل الصغير ، أَهَّلَهُ لأن يكون كاتباً إسلامياً كبيراً فيما بعد .

سيد القارئ :

وتعلق سيد قطب بالقراءة ، وأحبها حباً كبيراً ، فأخذ يقرأ كل ما يقع تحت يديه من الكتب ، حتى إن نساء القرية وشبابها كانوا يتهافتون على الطفل الصغير ، ويطلبون منه أن يحكي لهم ويقـــصَّ عليهم ما قرأه في هذه الكتب .

الفتى السعيد :

وأصبح سيد قطب شاباً فتياً ، رقيق المشاعر ، يشعر بآلام الضعفاء والمظلومين ، ويملك خيالاً خصباً .

وطنية مبكرة :

ظهرت على الفتى سيد قطب وطنية مبكرة ، فعند قيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ م بزعامة سعد زغلول ، انطلق يكتب ويخطب وهو في الثالثة عشر من عمره ، في المساجد والنوادي ، ويحرِّض الناس ضد الاستعمار الإنجليزي .

في القاهرة :

انتقل إلى القاهرة ؛ حيث التحق بمدرسة دار العلوم ، وأقام سيد قطب بعد موت والديه في القاهرة مع أشقائه (محمد وأمينة وحميدة) ، وأصبح مسئولاً عن رعاية هذه الأسرة الصغيرة باعتباره الأخ الأكبر .

الأديب الشاعر :

وتخرج سيد قطب في دار العلوم سنة (١٣٥٣ هـ ، ١٩٣٤ م) ، فمارس كتابة الأدب والشعر ، في عدد من الصحف والمجلات كالأهرام والرسالة والأسبوع والشرق الجديد والعالم الغربي ، وعمل في وزارة المعارف ، ثم مراقباً فنيّا للوزارة .

البعثة :

وفي سنة ١٩٤٨ م ذهب في بعثة دراسية من وزارة التربية إلى الولايات المتحدة لدراسة نظم التربية وبرامج التعليم فيها ، وبعد عودته سنة ١٩٥١ م أكَّد أنه لا يجد خيراً من المنهج الإسلامي كأساس للتربية في مصر .

مع الإخوان :

انتقد سيد قطب البرامج المصرية ، وكان يراها من وضع الإنجليز ، وكان ذلك قبل أن يتعرف على جماعة الإخوان المسلمين ، وبعد رجوعه من أمريكا انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين ، ورأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم .[1]

---

[1] لا بد من الإشارة هنا أن " جماعة الإخوان المسلمين " هم اليوم أبعد ما يكونوا عن الأفكار التي كان يطرحها سيد قطب رحمه الله .. بل هم اليوم وتبريرا لانحرافاتهم التي يخوضوا بها – كالدخول في المجالس النيابية والدخول في

تأملات في القرآن الكريم :

وفي فترة سجنه وداخل جدران السجون ، اتجه سيد إلى القرآن ينظر في معانيه ، ويقلب نظره بين آياته ، وألف تفسيره الذي يقول في مقدمته : لقد عشت أسمع الله سبحانه يتحدث إليَّ بهذا القرآن أنا العبد القليل الصغير ، أيّ تكريم للإنسان هذا التكريم العلوي الجليل ، أيّ رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل ؟ أيّ مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم ؟!

الشهادة :

تعرض سيد قطب للسجن فترات طويلة . وفي عام ١٩٦٥ م قُدم للمحاكمة ، وحكم عليه بالإعدام .

مؤلفات الشهيد :

من أشهر مؤلفاته :

- كتاب في ظلال القرآن ، ويقع في ست مجلدات ، وهو تفسير عصري ، جمع فيه سيد قطب بين الروايات المأثورة ، وأسقطها على الواقع ، فجاء التفسير معبراً عن ثقافة العصر ، وقد كتب في هذا التفسير بعض الرسائل العلمية التي تبرز مكنون هذا التفسير العظيم .

وكتاب خصائص التصور الإسلامي .

وكتاب مشاهد القيامة في القرآن الكريم .

وكتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام .

وكتاب قصص الأنبياء للأطفال وهو بالمشاركة مع الأديب كامل كيلاني .

وكتاب الإسلام ومشكلات الحضارة .

وكتاب معالم في الطريق .

وكتاب المستقبل لهذا الدين . وغير ذلك .

وقد اهتم به كثير من الكتّاب والباحثين ، فكتبوا في سيرته بحوثاً وكتباً عديدة ، تظهر عبقرية الأديب المفسر المفكر المصلح المجاهد .

الوزارات وانعدام معاني البراءة من هذه الأنظمة الطاغوتية الجاثمة على بلاد المسلمين – لا يتورعون عن اتهام سيد قطب – رحمه الله – بالشطط والخطأ عند تحذيره من هذه الأمور .

اشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيـال الناشـئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسـلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنـشئة هـذا الجيـل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.



منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com

سلسلة المشاهير (٢)

أشهر السلاطين

صلاح الدين الأيوبي، سيف الدين قطز
عبد الحميد الثاني

إعداد

مسعود صبري إبراهيم



بسم الله الرحمن الرحيم

استقلت بعض الدول عن دولة الخلافة ، مع الاحتفاظ بالتبعية لخليفة المسلمين ، فكان يدعو له في خطبة الجمعة ، ويكتب اسمه على العملة ، ويطاع أمره في أمور الحرب والجهاد ، والتصدي لأي عدو يريد الفتك بالأمة الإسلامية ، فكان السلطان يسرع بطاعة خليفة المسلمين ، أما في حالة السلم ، فهناك استقلالية في إدارة البلاد ، مع بعث الخراج للخليفة في بلد الخلافة .

ولقد كان لكثير من السلاطين فضل عظيم في الحفاظ على كيان الخلافة مع ضعفها في أوقات الضعف ، فقد كان بوسع بعضهم الاستقلال التام عن الخلافة ، لكنه كان يرفض قائلاً : إنما أنا خدم لخليفة المسلمين .

لقد لقب بعض الخلفاء بلقب السلطان كما هو الحال في الخلافة العثمانية ، وهـــذه بعـــض النماذج للسلاطين قديماً وحديثاً تشهد بعزة الإسلام والمسلمين .

صلاح الدين الأيوبي

مولد البطل :

في سنة ٥٣٢ هـــ ولد صلاح الدين يوسف بن أيوب ، من أسرة كردية عريقة الأصـــل ، في بلدة صغيرة من بلاد العراق تسمى تكريت ، وتولّى والده ولاية تكريت في نفس الليلة التي ولد فيها صلاح الدين ؛ لإخلاصه لعماد الدين زنكي أتابك الموصل .

ورحلت الأسرة إلى الموصل ، واستقرت بها ، وفيها نشأ صلاح الدين ينعم بخيراتها ، ولما وصل إلى سن البلوغ ، أرسله والده إلى المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم .

النشأة الحربية :

كان صلاح الدين يقرأ ويستمع إلى سِيَر قادة الحروب من المسلمين الذين يجاهدون في ســبيل الله ، ويتمنى أن يكون واحداً منهم لينقذ المسلمين من بطش الصليبيين ، واســتجاب الله ســبحانه وتعالى دعاءه ؛ عندما صحب عمه أسد الدين شيركوه على رأس حملة أرسلها نور الدين محمود وهو ابن عماد الدين زنكي إلى مصر ؛ لحمايتها من أطماع الصليبيين ، وأظهر صلاح الدين من الشجاعة والثبات والبأس ما أدهش القادة ، وتم النصر لجيش عمه " شيركوه " الذي عينه الخليفة الفــاطمي " العاضد " وزيراً له ، وأقام صلاح الدين مع عمه في القاهرة .

وشاءت الأقدار أن يموت " شيركوه " في مارس سنة ١١٦٩ م ، فاختار الخليفــة الفــاطمي صلاح الدين وزيراً له بدلاً من عنه وهو في الحادية والثلاثين من عمره .

السلطان صلاح الدين :

ولما مات الخليفة الفاطمي تولى صلاح الدين حكم مصر ، وثبت ملكه ؛ فقضى على عناصر الخيانة ، وتخلص من القوى التي هددت سلطانه ، ونجح في إزالة الخلاف المذهبي بين المسلمين عـــن طريق القضاء على الخلافة الفاطمية الشيعية ونشر المذهب السني .

مسيرة الجهاد :

رأى صلاح الدين أن الفرصة قد جاءته ؛ ليحقق ما كان يتمناه مـــن إنقـــاذ المـــسلمين ورد اعتبارهم وطرد الصليبيين من بيت المقدس ، فأعد جيشاً قويّاً ، كامل الأسلحة ، كثير العدد ، ثم قاد الجيش بنفسه ، وسار إلى البلاد الخاضعة للصليبيين وأخذ يحررها واحدة بعد أخرى حتى وصـــل إلى بيت المقدس ، فضرب حوله الحصار ؛ مما اضطر الصليبيين إلى تسليم المدينة له .

صلاح الدين في القدس :

ودخل جيش صلاح الدين بيت المقدس سنة (٥٨٣ هـ — ١١٨٨ م تقريباً) ظافراً منتصراً ، رافعاً رايات النصر والتوحيد ، مكبراً . . الله أكبر . . الله أكبر . ولم يقتل طفلاً أو امرأة أو شيخاً كبيراً ، بل عاملهم بالرحمة والشفقة . وأطلق صلاح الدين سراح الشيوخ والضعفاء . ولم تنهب جيوشه بيتاً من البيوت أو تخرب زرعاً أو تقطع شجراً ، وحينما جمعت غنائم الحرب وقسمت بين الجنود والقادة ، تنازل صلاح الدين عن نصيبه للفقراء من المسيحيين ، وجعل الأسرى الذين كانوا من حظه أحراراً .

ولما علمت أوربا بانتصار القائد صلاح الدين ودخوله بيت المقدس جهزوا جيشاً كبيراً من الفرسان البواسل والقادة الشجعان ؛ لاسترداد بيت المقدس من يد صلاح الدين ، ووصلت الجيوش الصليبية إلى بلاد الشام تحت قيادة " ريتشارد قلب الأسد " ، الذي حاصر عكا ودخلها وغدر بأهلها بعد أن أمنهم ، لكنه لم يستطع دخول بيت المقدس ، وتحرك ريتشارد في نهاية أكتوبر عام ١١٩١ م من " يافا " قاصداً بيت المقدس ، ولكن صلاح الدين حصنها بنفسه ، فتراجع ريتشارد وارتفعت الروح المعنوية لدى المسلمين ، وتم عقد صلح الرملة ، بين المسلمين والصليبيين وكان من شروط الصلح وقف القتال بينهما لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ، ورجع ريتشارد إلى بلاده ذليلاً .

وبعد أن أتم الله النصر للمسلمين ، وخلص بيت المقدس من الصليبيين ؛ عاد صلاح الدين إلى مصر وأصلح الشئون الداخلية ، ثم توجه إلى دمشق ، ماراً ببيت المقدس ، وفي دمشق مرض صلاح الدين واشتد المرض عليه في السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩ هـ ، ودفن في قلعة دمشق إلى أن شيدت له قبة ضريح في شمال الكلاسة شمالي جامع دمشق قرب المدرسة العزيزية ، فنقل إليها .

سيف الدين قطز

السلطان الجديد :

ازداد خطر التتار ، وأصبحت مصر مهددة بغزوهم بعد أن نزل " هولاكو " قائد التتار بجيوشه إلى بغداد في سنة ٦٥٦ هـ ، فقتل مئات الألوف من أهلها ، ونهبوا خزائنها ، وقضوا على الخلافة العباسية ، ثم قتلوا الخليفة المستعصم بالله وأفراد أسرته ، وكبار رجال دولته .

ولم يَبْقَ غير اليمن والحجاز ومصر ، التي كان يتولى عرشها في ذلك الوقت المنصور علي بن عز الدين أيبك ، وكان صغيراً لم يتجاوز عمره خمس عشرة سنة ، ولم يكن قادراً على تحمل أعباء الملك في هذه الظروف العصيبة ؛ لذلك طلب علماء الإسلام من قطز أن يتولى العرش مكانه ؛ لإنقاذ مصر والبلاد الإسلامية من خطر التتار .

ووصلت رسالة إلى قطز من زعيم التتار " هولاكو " ، وكانت الرسالة مليئة بالتخويف والتهديد ، فجمع قطز الأمراء بعد أن استمع إلى الرسالة ، واتفق معهم على قتل رسل هولاكو ، فقبض عليهم واعتقلهم وأمر بإعدامهم ، ثم علق رءوسهم على باب زويلة .

التجهيز للحرب :

كان هذا التصرف يعني إعلان الحرب على التتار ، فجمع قطز القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم ، وأخذ رأيهم في الجهاد ، وفي دار السلطنة بقلعة الجبل حضر الشيخ " عز الدين بن عبد السلام " ، والقاضي " بدر الدين السنجاري " قاضي اليار المصرية ، واتفق الجميع على التصدي للتتار والموت في سبيل الله .

اليوم المشهود :

خرج قطز يوم الاثنين ١٥ من شعبان سنة ٦٥٨ هـ بجميع عسكر مصر ، ومن انضم إليهم من عساكر الشام والعرب والتركمان وغيرهم من قلعة الجبل ، فنادى في القاهرة وكل أقاليم مصر ، يدعو الناس إلى الجهاد في سبيل الله والتصدي لأعداء الإسلام ، وجمع الأمراء ، وطلب منهم أن يساعدوه في قتال التتار ، لكنهم امتنعوا عن الرحيل معه ، فقال لهم : " يا أمراء المسلمين ! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون ، وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبني ، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته ، فإن الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين " .

وقبل المسير جمع " قطز " قادته ، وشرح لهم خطورة الموقف ، وذكرهم بما وقع من التتار من الخراب والتدمير وسفك الدماء ، وطلب منهم وهو يجهش بالبكاء أن يبذلوا أرواحهم وأنفسهم في سبيل إنقاذ الإسلام والمسلمين ، و لم يتمالك القادة أنفسهم فأخذوا يبكون لبكائه ، ووعدوه أن يضحوا بكل شيء لنصرة الإسلام .

الهجوم خير وسيلة للدفاع :

وخرج قطز لملاقاة التتار خارج مصر ، و لم يقف موقف المدافع ، وذلك لإيمانه بأن الهجوم خير وسيلة للدفاع ، وحتى يرفع معنويات رجاله ، ويثبت لأعدائه أنه لا يخافهم ولا يرهبهم ، وتحرك قطز من مصر في شهر رمضان سنة ٦٥٨ هـ ، ووصل مدينة " غزة " وكان فيها بعض جموع التتار بقيادة " بيدرا " الذي فوجئ بهجوم أحد كتائب المماليك بقيادة بيبرس أحد قواد قطز الشجعان ، لتتحقق بشائر النصر ، ويستعيد قطز " غزة " من التتار ، وأقام بها يوماً واحداً ، ثم اتجه شمالاً نحو سهل البقاع بلبنان حيث التتار بقيادة " كَتْبُغَا " الذي فشل في إنقاذ التتار الذين هزمهم المسلمون في غزة .

الرجل العسكري :

كان قطز رجلاً عسكرياً من الدرجة الأولى ، فهو يعد لكل شيء عدته ، فقد أرسل حملة استطلاعية تحت قيادة الأمير " ركن الدين بيبرس " وكان قائداً ذا خبرة واسعة بالحروب ، لكي تجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن التتار ، عن قوتهم وعددهم وسلاحهم ، وبعد أن انتهى " بيبرس " من استطلاع الأخبار اشتبك مع التتار في " عين جالوت " ، وظل القتال مستمرّاً حتى وصل قطز بقواته إلى ميدان المعركة .

عين جالوت :

وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان من سنة ٦٥٨ هـ ، دارت معركة حاسمة بين الطرفين ، واقتحم قطز صفوف القتال ، وتقدم جنوده وهو يصيح قائلاً : " واإسلاماه . . واإسلاماه " ، يضرب بسيفه رءوس الأعداء ، ويشجع أصحابه ، ويطالبهم بالشهادة في سبيل الله – عز وجل – .

واإسلاماه :

واشتدت المعركة ، فأخذ قطز يصرخ أمام جيشه : " واإسلاماه . . واإسلاماه . . يا الله ! انصر عبدك قطز على التتار " . وقتل فرس قطز ، وكاد يتعرض للقتل لولا أن أسعفه أحد فرسانه ،

فترل له عن فرسه ، فسارع قطز إلى قيادة رجاله ، ودخل دون خوف في صفوف الأعـــداء حـــتى ارتبكت صفوفهم .

ولجأ القائد العظيم إلى حيلة ذكية ؛ فقد أخفى بعض قواته من المماليك بين التلال ؛ حـــتى إذا زادت شدة المعركة ، ظهر المماليك من كمائنهم ، وهاجموا التتار .

وكانت هناك مزرعة بالقرب من ساحة القتال ، اختفى فيها بعض جنود التتار ، فأمر " قطز " جنوده أن يشعلوا النار في تلك المزرعة ، فاحترق مَنْ فيها من التتار .

وبدأ المسلمون يطاردون التتار ، حتى دخل قطز دمشق في أواخر شهر رمـــضان المبـــارك ، فاستقبله أهلها بالفرح والسرور . ولم تمضِ أسابيع قليلة ، حتى طهرت بلاد الشام من التتار ، فخرج من دمشق عائداً إلى مصر ، وفي طريق عودته انقض عليه عدد من الأمراء وقتلوه حسداً منهم وحقداً على ما أكرمه الله به من نصر ، وذلك يوم السبت ١٦ من ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـــ ، ودفـــن في المكان الذي قتل فيه ، وحزن الناس عليه حزناً شديداً .

السلطان عبد الحميد الثاني

الخلافة الجديدة :

في سنة ١٢٥٨ هـ — ١٨٤٢ م ولد السلطان عبد الحميد ونشأ في دار الخلافة العثمانية التي كانت محط أنظار المسلمين ، يجتمعون تحت رايتها ، ويحتمون بها من شرور أعداء الإسلام .

ومرت الأيام ، وآن " لعبد الحميد الثاني " أن يتحمل المسئولية في وقت كانت تحيط فيه الأخطار بالدولة من كل جانب ، بعد أن أصدر شيخ الإسلام في دار الخلافة العثمانية فتواه بعزل السلطان " مراد الخامس " ، وتعيين شقيقه الأصغر عبد الحميد الثاني خليفة على المسلمين .

وقبل أن يباشر السلطان مهامه الجديدة ، صلى لله تعالى ركعتين شكراً في جامع " أبي أيوب الأنصاري " ، وهناك تسلم من شيخ الإسلام سيف عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — وهو سيف الخلافة .

وبدأ السلطان عبد الحميد بداية طيبة ، فكان أول ما أصدره أن أقر الدستور الذي يكفل المساواة بين جميع الناس من خلال المجالس الشرعية ، كما أصدر أوامره بحرية القضاء لتكون كلها نافذة من خلال النظام الإسلامي للدولة ، فظل الإسلام في عهده منبع القوانين ودستورها .

اليهود والسلطان :

حاول اليهود عن طريق زعيمهم الماكر " هرتزل " استمالة السلطان عبد الحميد الثاني ، حتى يسمح لهم بإقامة وطن لليهود في فلسطين " بيت المقدس " ، فعرضوا عليه مبلغاً ضخماً في ذلك الزمان البعيد يقدر بثلاثة ملايين من الجنيهات بالإضافة إلى دفع مبلغ كبير للدولة العثمانية — سنوياً — مقابل أن يصدر السلطان عبد الحميد قراراً يسمح فيه لليهود بالهجرة إلى فلسطين والتوطن فيها ، وهنا قال السلطان " عبد الحميد " قولته الخالدة التي سجلها التاريخ : " لست مستعداً لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد ، فهي ليست ملكي بل هي ملك لشعبي ، روى ترابها بدمه ، وليحتفظ اليهود بأموالهم ، ولن يستطيعوا أخذ فلسطين إلا عند تشريح جثتي ، وساعتها يأخذونها بلا ثمن ، أما وأنا على قيد الحياة . . فلا " .

الاهتمام بالبنية الأساسية :

لم يهمل الإصلاحات الداخلية في شتى أنحاء الدولة العثمانية ؛ فاهتم بالتعليم المدني ، وأنشأ جامعة " استنابول " سنة ١٨٨٥ م ، واهتم بالتعليم العسكري ، وأنشأ المكتبات ومدرسة خاصة

لتخريج الدعاة ، كما توسع في إنشاء الخطوط الحديدية ليسهل الحج ، واستخدم البرق للمراسلة ، وتبنى مشروع الجامعة الإسلامية ، وكان دائماً يدعو المسلمين إلى الاتحاد .

النهاية والوفاة :

ظهرت جمعية " الاتحاد والترقي العثمانية " وقامت بثورة عسكرية (١٩٠٨ – ١٩٠٩ م) ، ونجحت في سلب الخلافة منه ، وقررت نفيه إلى " سالونيك " في إبريل سنة ١٩٠٩ م . وظل في منفاه حتى لقي ربه سنة ١٩١٨ م .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيـال الناشـئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسـلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنـشئة هـذا الجيـل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.



منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com

سلسلة المشاهير (٧)

أشهر التابعين

سعيد بن المسيب، سعيد بن جبير، الحسن البصري

إعداد

أحمد حسن عرابي



بسم الله الرحمن الرحيم

يعتبر التابعون الجيل الثاني من حماة الإسلام ، فهم تلامذة الصحابة الذين حملوا العلم والـدِّين للعالم ، ثم جاء التابعون ليحملوا الأمانة من بعدهم ، فجالوا البلاد شرقاً وغرباً ، لنشر هذا النور في أرجاء المعمورة .

وإن كان أكثر التابعين ممن تتلمذ على يد الصحابة ، فإن من التابعين من أدرك عصر النبوة و لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل : عبد الله بن ربيعة ، ويوسف بن عبد الله ، وعبد الله بن العباس ، وعمرو بن سلمة وغيرهم .

ومن كبار التابعين : مروان بن الحكم ، ومحمد بن حذيفة ، وعامر بن قيس ، وأويس القرني ، والأسود بن يزيد ، وعلقمة بن قيس ، وجبير بن نفير ، وابن الحنفية محمد بن علي بن أبي طالب ، وعمر بن علي بن أبي طالب ، ومصعب بن الزبير ، وقطري بن الفجاءة ، وغيرهم . وسيكون الحديث عن كل من : سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصري – رحمهم الله تعالى –

سعيد بن المسيب

مولد ابن المسيب :

بعد مضي سنتين من خلافة الفاروق عمر – رضي الله عنه – ولد " سعيد بن المسيب " في المدينة المنورة ؛ حيث كبار الصحابة ، فرأى عمر بن الخطاب ، وسمع عثمان بن عفان ، وعليّا ، وزيد بن ثابت ، وأبا موسى الأشعري ، وأبا هريرة ، وغيرهم ، فنشأ نشأة مباركة ، وسار على نهجهم ، واقتدى بأفعالهم ، وروى عنهم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتزوج بنت الصحابي الجليل أبي هريرة ، فكان أعلم الناس بحديثه .

فقيه الفقهاء :

وهبه الله في نشأته الباكرة ذكاءً متوقداً ، وذاكرة قوية ، حتى شهد له كبار الصحابة والتابعين بعلو المكانة في العلم ، وكان رأس فقهاء المدينة في زمانه ، والمقدم عليهم في الفتوى ، حتى اشتهر بفقيه الفقهاء ، وكان عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – ، وهو المقدم في الفتوى بالمدينة آنذاك – إذا سئل عن مسألة صعبة في الفقه ، كان يقول : سلوا سعيداً فقد جالس الصالحين .

ويقول عنه قتادة : ما رأيت أحداً قط أعلم بالحلال والحرام منه . ويكفي ابن المسيب فخراً أن الخليفة العادل " عمر بن عبد العزيز " كان أحد تلاميذه ، ولما تولى عمر إمارة المدينة لم يقض أمراً إلا بعد استشارته .

عزة النفس :

وعاش سعيد طيلة حياته مرفوع الرأس ، عزيز النفس . فها هو ذا أمير المدينة في عهد الخليفة عبد الملك يأمره بالبيعة للوليد بن عبد الملك ، فيمتنع ، فيهدده بضرب عنقه ، فلم يتراجع عن رأيه ، رغم علمه بما ينتظره من العذاب ، وما إن أعلن سعيد مخالفته حتى جردوه من ثيابه ، وضربوه خمسين سوطاً ، وطافوا به في أسواق المدينة ، وهم يقولون : هذا موقف الخزي فيرد عليهم سعيد في ثقة وإيمان : بل من الخزي فررنا إلى ما نريد . ولما علم عبد الملك بما صنعه والي المدينة لامه وكتب إليه : سعيد كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه ، وإنَّا لنعلم ما عنده من خلاف . خلاف . وبعد كل هذا التعذيب الذي ناله سعيد ، جاءه رجل يحرضه على الدعاء على بني أمية ، فما كان منه إلا أن قال : اللهم أعز دينك ، وأظهر أولياءك ، وأخزِ أعداءك في عافية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

جرأة الحق :

صلى " الحجاج بن يوسف الثقفي " ذات مرة ، وكان يصلي بسرعة ، فلم يتم ركوع الصلاة وسجودها كما يجب ، فأخذ سعيد كفاً من الحصى ورماه به ، فانتبه الحجاج لذلك واطمأن وتمهل في صلاته ، وكان ذلك قبل أن يتولى الحجاج الإمارة .

ابنة الإمام :

ورفض سعيد أن تكون ابنته أعظم سيدة في دولة الخلافة الإسلامية ؛ وذلك حين أراد الخليفة عبد الملك أن يخطب ابنة سعيد لولي عهده الوليد ، لكن سعيداً رفض بشدة ، وزوج ابنته من طالب علم فقير ؛ فقد كان لسعيد جليس يقال له : عبد الله بن وداعة ، فأبطأ عنه أياماً ، فسأل عنه وطلبه، فأتاه ، واعتذر إليه ، وأخبره بأن سبب تأخره هو مرض زوجته وموتها ، فقال له : ألا أعلمتنا بمرضها فنعودها ، أو بموتها فنشهد جنازتها .

ثم قال : يا عبد الله تزوج ، ولا تلق الله وأنت أعزب . فقال : يرحمك الله ومن يزوجني وأنا فقير ؟ فقال سعيد : أنا أزوجك ابنتي . فسكت عبد الله استحياء . فقال سعيد : مالـــك ســـكت ، أسخطاً وإعراضاً ؟

فقال عبد الله : وأين أنا منها ؟ فقال : قم وادعُ نفراً من الأنصار . فدعا له فأشهدهم علـــى الزواج ، فلما صلوا العشاء توجه سعيد بابنته إلى الفقير ومعها الخادم والدراهم والطعام ، والزوج لا يكاد يصدق ما هو فيه !

التقي الورع :

وكان سعيد تقياً ورعاً ، يذكر الله كثيراً . جاءه رجل وهو مريض ، فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس فحدثه ، فقال له ذلك الرجل : وددت أنك لم تتعن ولا تتعب نفسك . فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله وأنا مضطجع .

ومن توقيره لحرمات الله قوله : لا تقولوا مصيحف ولا مسيجد ، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل . فهو يكره أن تصغر كلمة مصحف ، أو كلمة مسجد أو كل كلمة غيرهما تكون لله تعـــالى إجلالا لشأنها وتعظيماً .

مرض الوفاة :

ومرض سعيد ، واشتد وجعه ؛ فدخل عليه نافع بن جبير يزوره ، فأغمى عليه ، فقال نافع : وَجِّهوه . ففعلوا ، فأفاق فقال : من أمركم أن تحولوا فراشي إلى القبلة . . أنافع ؟ قال : نعم . قال له سعيد : لئن لم أكن على القبلة والملة والله لا ينفعني توجيهكم فراشي .

ولما احتضر سعيد بن المسيب ترك بعض الأموال ، فقال : اللهم إنك تعلم أني لم أتركها إلا لأصون بها ديني .

ومات سعيد سنة ثلاث أو أربع وتسعين من الهجرة فرحمه الله رحمة واسعة .

سعيد بن جبير

مولده ونشأته :

وُلِدَ سعيد بن جبير في زمن خلافة الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بالكوفة ، وقد نشأ سعيد محبّا للعلم ، مقبلاً عليه ، ينهل من معينه ، فقرأ القرآن على ابن عباس ، وأخذ عنه الفقه والتفسير والحديث ، كما روى الحديث عن أكثر من عشرة من الصحابة ، وقد بلغ رتبة في العلم لم يبلغها أحد من أقرانه ، قال خصيف بن عبد الرحمن عن أصحاب ابن عباس : كان أعلمهم بالقرآن مجاهد ، وأعلمهم بالحج عطاء ، وأعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب ، وأجمعهم لهذه العلوم سعيد بن جبير .

ابن جبير العابد :

كان سعيد بن جبير كثير العبادة لله ، فكان يحج مرة ويعتمر مرة في كل سنة ، ويقيم الليل ، ويكثر من الصيام ، وربما ختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام .

وهب سعيد حياته للإسلام ، ولم يَخْشَ إلا الله ، يفيد الناس بعلمه النافع ، ويفقه الناس في أمور دينهم ودنياهم ، فقد كان إماماً عظيماً من أئمة الفقه في عصر الدولة الأموية ، حتى شهد له عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – بالسبق في الفقه والعلم ، فكان إذا أتاه أهل مكة يستفتونه يقول : أليس فيكم ابن أم الدهماء (يقصد سعيد بن جبير) .

الجرأة في الحق :

كان سعيد بن جبير يملك لساناً صادقاً وقلباً حافظاً ، لا يهاب الطغاة ، ولا يسكت عن قول الحق ، فالساكت عن الحق شيطان أخرس ، فألقى الحجاج بن يوسف القبض عليه بعد أن لفق له تهماً كاذبة ، وعقد العزم على التخلص منه .

في وجه الطغيان :

لم يستطع الحجاج أن يسكت لسانه عن قول الحق بالتهديد أو التخويف ، فقد كان سعيد بن جبير مؤمناً قوي الإيمان ، يعلم أن الموت والحياة والرزق كلها بيد الله ، ولا يقدر عليه أحد سواه.

اتبع الحجاج مع سعيد بن جبير طريقاً آخر ، لعله يزحزحه عن الحق ، فأغراه بالمال والدنيا ، ووضع أموالاً كثيرة بين يديه ، فما كان من هذا الإمام الجليل إلا أن أعطى الحجاج درساً قاسياً ، فقال : إن كنت يا حجاج قد جمعت هذا المال لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففزعة واحدة

تذهل كل مرضعة عما أرضعت . لقد أفهمه سعيد أن المال هو أعظم وسيلة لإصلاح الأعمال وصلاح الآخرة ، إن جمعه صاحبه بطريق الحلال لاتّقاء فزع يوم القيامة . (**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**) [الشعراء : ٨٨ – ٨٩] .

ومرة أخرى تفشل محاولات الحجاج لإغراء سعيد فهو ليس من عباد الدنيا ولا ممن يبيعون دينهم بدنياهم . وبدأ الحجاج يهدد سعيداً بالقضاء عليه ، ودار هذا المشهد بينهما :

الحجاج : ويلك يا سعيد !

سعيد : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار .

الحجاج : أي قتلة تريد أن أقتلك ؟

سعيد : اختر لنفسك يا حجاج ، فو الله ما تقتلني قتلة إلا قتلتك قتلة في الآخرة .

الحجاج : أتريد أن أعفو عنك ؟

سعيد : إن كان العفو فمن الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عُذر .

الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه .

فلما خرجوا ليقتلوه ، بكى ابنه لما رآه في هذا الموقف ، فنظر إليه سعيد وقال له : ما يبكيك ؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة ؟

وبكى أيضاً صديق له ، فقال له سعيد : ما يبكيك ؟

الرجل : لما أصابك .

سعيد : فلا تبك ، كان في علم الله أن يكون هذا ، ثم تلا : (**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا**) [الحديد : ٢٢] .

ثم ضحك سعيد ، فتعجب الناس وأخبروا الحجاج ، فأمر برده ، فسأله .

الحجاج : ما أضحكك ؟

سعيد : عجبت من جرأتك على الله وحلمه عنك .

الحجاج : اقتلوه .

سعيدد : (**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) [الأنعام : ٧٩] .

الحجاج : وجهوه لغير القبلة .

سعيد : (**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**) [البقرة : ١١٥] .

الحجاج : كبوه على وجهه .

سعيد : (**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**) [طه : ٥٥] .

الحجاج : اذبحوه .

سعيد : أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، خذها مني يا حجاج حتى تلقاني بها يوم القيامة .

ثم دعا سعيد ربه فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي ومات سعيد شهيداً سنة ٩٥ هـ ، وله من العمر سبع وخمسون سنة ، مات ولسانه رطب بذكر الله .

الحسن البصري

هدية المغتاب :

يروى أن رجلاً اغتابه ، فما كان منه إلا أنه أرسل له بطبق من الحلوى قائلاً له : بلغني أنـــك نقلت حسناتك إلى ديواني وهذه مكافأتك .

ريحانة ميسان :

إنه " الحسن البصري بن أبي الحسن يسار " وكنيته " أبو سعيد " ، ولد في المدينة عام واحـــد وعشرين من الهجرة .

كان أبوه من سبى " ميسان " من بلاد فارس . سكن المدينة المنورة ، وبها أعتق ، وتـــزوج " خيرة " مولاة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم أم سلمة – رضي الله عنها – ، فكانت أم سلمة – رضي الله عنها – تبعث أم الحسن البصري لتقضي لها الحاجة ، وتترك " الحسن " فيبكي وهو طفـــل فترضعه ، وتخرجه إلى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو صغير فكانوا يدعون له ، ودعا له عمر ، وفقال : " اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس " .

تلميذ المدينة :

تعلم في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظ القرآن في العاشرة من عمره ، وتتلمذ على أيدي كبار الصحابة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وروى الحديث عن علـــي وعثمـــان وعبد الله ابن عمرو وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم ، ثم رحل إلى البـــصرة ، فكـــان فقيهها وعالمها، وشيخ القراء فيها ، أقبل الناس عليه يتلقون عنه العلم ، ويأخذون منه الحكمة .

شيخ العلماء :

وكانت حلقته في المسجد يدرس فيها الحديث والفقه وعلوم القرآن واللغة ، وكان من تلاميذه من يصحبه للحديث ، ومنهم من يصحبه للقرآن ، ومنهم من يصحبه للبلاغة واللغة .

وكان دائماً ينصح تلاميذه قائلاً : إذا طلب الرجل العلم فينبغي أن يُرى ذلك في تخشعه وزهده ولسانه وبصره .

لقد نذر الحسن البصري حياته لله تبارك وتعالى ، فكان همَّه الأول النصح والإرشاد ، فأقبـــل عليه طلاب العلم إقبالا عظيماً ، فذاع صيته ، واتسعت حلقاته بالمسجد حتى لقّب " بإمام البصرة ".

دائم الخشية :

لازمته ظاهرة البكاء والخشية من الله ، وعندما سئل عن ذلك قال : " نضحك ولا نـــدري ، لعل الله قد اطلع على أعمالنا ، فقال لا أقبل منكم شيئاً " . وسجَّل له التاريخ على صفحاته البيضاء موقفه من الحجاج بن يوسف .

شجاعة نادرة :

وكان الحسن البصري من أشد الناس وأشجعهم ، وكان " المهلب بن أبي صفرة " إذا قاتـــل عدواً يجعله في مقدمة الجيش .

مات الحسن سنة ١١٠ هـــ وله (٨٨) سنة ، وكانت جنازته مشهودة ، صلوا عليه عقيب الجمعة ، وشيعه خَلْق كثير .

اشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيـــال الناشـــئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإســـلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنـــشئة هـــذا الجيـــل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.



سلسلة المشاهير (٤)

أشهر الزهاد

إبراهيم بن أدهم، عبد الله بن المبارك
الفضيل بن عياض

إعداد

أشرف عبد الرءوف قدح



بسم الله الرحمن الرحيم

كثرت مشاغل الحياة ، وتزينت الدنيا بزخارفها وفتنها ، حتى شغلت الخلق عن الخالق ، فنسوا الغاية التي خلقوا من أجلها ؛ قال تعالى : (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**) [الذاريات ٥٦ – ٥٨] .

فكان من الواجب على كل إنسان أن يجعل الدنيا زاداً للآخرة ، ويعلم أن الزهد فيها سبب لمحبة الله ، ومحبة الناس ، قال صلى الله عليه وسلم : " ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس " [الحاكم وصححه] .

وقد اشتهر من هذه الأمة جماعة من الزهاد الذين آثروا الآخرة على الدنيا ، منذ عصر الصحابة ثم التابعين ، بل في كل عصر من العصور ، ليكونوا لنا الأسوة والقدوة في حياتنا ، وهذه بعض نماذج الزاهدين .

إبراهيم بن أدهم

نداء التوبة :

سمع نداء من خلفه يقول له : " يا إبراهيم ليس لذا خلقت ، ولا بذا أمرت " . فوقف ينظر يمينه وشماله ، يبحث عن مصدر الصوت فلم ير أحداً ، فأوقف فرسه ثم قال : والله لا عصيت الله بعد يومي هذا ما عصمني ربي . ورجع إبراهيم إلى أهله ، فترك حياة الترف والنعيم ورحل إلى بلاد الله الواسعة ليطلب العلم ، وليعيش حياة الزهد والورع والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

الزاهد العامل :

و لم يكن إبراهيم متواكلاً يتفرغ للعبادة والزهد فقط ، ويعيش عالة على غيره ، بل كان يأكل من عمل يده ، يعمل أجيراً ، يحصد الزروع ، ويقطف الثمار ويطحن الغلال ، ويحمل الأحمال على كتفيه .

وكان نشيطاً في عمله ؛ يُحكى أنه حصد في يوم من الأيام ما يحصده عشرة رجال ، وفي أثناء حصاده كان ينشد قائلاً : اتَّخذِ الله صاحباً . . . ودَعِ الناسَ جانباً .

يروى بقية من الوليد ، يقول : دعاني إبراهيم بن أدهم إلى طعامه ، فأتيته ، فجلس ، ثم قال : كلوا باسم الله . فلما أكلنا ، قلت لرفيقه : أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبته . قال : كنا صباحاً ، فلم يكن عندنا ما نفطر عليه ، فأصبحنا ، فقلت : هل لك يا أبا إسحاق أن تأتي الرَّسْتن (بلدة بالشام كانت بين حماة وحمص) ، فنكري (فنؤجر) أنفسنا مع الحصَّادين ؟ قال : نعم . قال : فاكتراني رجل بدرهم ، فقلت : وصاحبي ؟ قال : لا حاجة لي فيه ، أراه ضعيفاً . فما زلت بالرجل حتى اكتراه بثلثي درهم ، فلما انتهينا ، اشتريت من أجرتي طعامي وحاجتي ، وتصدقت بالباقي ، ثم قربت الزاد ، فبكى إبراهيم ، وقال : أما نحن فاستوفينا أجورنا ، فليت شعري أوفينا صاحبه حقه أم لا ؟ فغضبت ، فقال : أتضمن لي أنّا وفيناه ، فأخذت الطعام فتصدقت به .

وظل إبراهيم ينتقل من مكان إلى مكان ، زاهداً وعابداً في حياته ، فذهب إلى الشام وأقام في البصرة وقتاً طويلاً ، حتى اشتهر بالتقوى والعبادة ، في وقت كان الناس فيه لا يذكرون الله إلا قليلاً ، ولا يتعبدون إلا وهم كسالى ، فجاءه أهل البصرة يوماً وقالوا له : يا إبراهيم ، إن الله تعالى يقول في كتابه : (**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**) [غافر : ٦٠] . ونحن ندعو الله فلا يستجيب لنا ! فقال لهم إبراهيم بن أدهم : يا أهل البصرة ، ماتت قلوبكم في عشرة أشياء :

أولها : عرفتم الله ، و لم تؤدوا حقه .

الثاني : قرأتم كتاب الله ، و لم تعملوا به .

الثالث : ادعيتم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركتم سنته .

الرابع : ادعيتم عداوة الشيطان ، ووافقتموه .

الخامس : قلتم : نحب الجنة ، و لم تعملوا لها .

السادس : قلتم : نخاف النار ، ورهنتم أنفسكم بها .

السابع : قلتم : إن الموت حق ، و لم تستعدوا له .

الثامن : اشتغلتم بعيوب إخوانكم ، ونبذتم عيوبكم .

التاسع : أكلتم نعمة ربكم ، و لم تشكروها .

العاشر : دفنتم موتاكم ، و لم تعتبروا بها .

وكان إبراهيم شديد التواضع ، كريماً جواداً ؛ فالعسل والسمن غالباً ما يكونان على مائدته يطعم من يأتيه .

مستجاب الدعاء :

وكان إبراهيم مستجاب الدعاء ، فذات يوم كان في سفينة مع أصحابه ، فهاجت الريح ، واضطربت السفينة ، فبكوا ، فقال إبراهيم : يا حيُّ حين لا حيَّ ، ويا حي قبل كل حي ، ويا حيُّ بعد كل حي ، يا حي ، يا قيوم ، يا محسن يا مُجْمل قد أريتنا قدرتك ، فأرنا عفوك . وبدأت السفينة تهدأ ، وظل إبراهيم يدعو ربه ويكثر من الدعاء .

وكان أكثر دعائه : " اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك " . وكان يقول لأصحابه : " ما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، واحفظنا بركنك الذي لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، ولا نهلك وأنت الرجاء " .

وكان إبراهيم راضياً بحالة الزهد القاسية ، وظل يكثر من العبادة إلى أن مات رضوان الله عليه سنة ١٦٢ هـ .

عبد الله بن المبارك

في مدينة " مرو " ببلاد فارس ، ولد عبد الله بن المبارك سنة ١١٨ هـ ، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم العربية ، وحفظ أحاديث كثيرة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودرس الفقه .

وأنعم الله عليه بذاكرة قوية منذ صغره ، فقد كان سريع الحفظ ، لا ينسى ما يحفظه أبداً ، يحكي أحد أقربائه واسمه " صخر بن المبارك " عن ذلك فيقول : كنا غلماناً في الكُتَّاب ، فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب ، فأطال خطبته ، فلما انتهى قال لي ابن المبارك : قد حفظتها ، فسمعه رجل من القوم ، فقال : هاتها ، أسمعنا إن كنت حفظتها كما تدعي . فأعادها عليه ابن المبارك وقد حفظها و لم يخطئ في لفظ منها .

رحلة العلم :

وفي الثالثة والعشرين من عمره ، رحل طلباً للعلم ، فسافر إلى العراق والحجاز وغيرهما ، والتقى بعدد من علماء عصره كالإمام مالك ، وسفيان الثوري ، وأبي حنيفة النعمان .

وكان عبد الله كلما ازداد علماً ، ازداد خوفاً من الله وزهداً في الدنيا ، وكان إذا قرأ كتاباً من كتب الوعظ يذكِّره بالآخرة وبالجنة والنار ، وبالوقوف بين يدي الله للحساب ، بكى بكاء شديداً ، واقشعر جسمه ، وارتعدت فرائصه .

اليد العليا :

وكان عبد الله يكسب من تجارته مالاً كثيراً ، وها هو ذا يعطينا درساً بليغاً في السلوك الصحيح للمسلم ، وذلك حين أتاه أحد أصدقائه واسمه أبو علي ، وهو يظن أن الزهد والتجارة لا يجتمعان قائلا لعبد الله : أنت تأمرنا بالزهد ، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد " خراسان " إلى البلد الحرام ، كيف ذا ؟ فقال له عبد الله بن المبارك : يا أبا علي ، إنما أفعل ذا لأصون وجهي ، وأُكرِم عرضي ، وأستعين به على طاعة ربي ، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به .

وكان عبد الله بن المبارك كريماً سخياً ، ينفق على الفقراء والمساكين في كل سنة مائة ألف درهم .

وكان ينفق على طلاب العلم بسخاء وجود ، حتى عوتب في ذلك فقال : إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق ، طلبوا الحديث ، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم ، فإن تركناهم ؛ ضاع

علمهم ، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بثّ العلم .

بين الحج والغزو :

وكان ابن المبارك يحبُّ مكة ، ويكثر من الخروج إليها للحج والزيارة ، كما كان يجاهد في سبيل الله بسيفه ، فكم أتاه طلاب العلم ، فيجدونه في الغزو .

وأحب عبد الله بن المبارك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حبّا عظيماً ، وكان لا يجيب أحداً يسأله عن حديث منها وهو يمشي بل يجلس ، ويقول للسائل : "ليس هذا من توقير العلم". وكان حفَّاظ الحديث في الكوفة إذا اختلفوا حول حديث قالوا : مروا بنا إلى هذا الطبيب نسأله (يقصدون عبد الله بن المبارك) .

فضائل ابن المبارك :

ولقد اجتمع نفر من أصحابه يوماً وقالوا : تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير ، فقالوا : جمع العلم ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والفصاحة ، والزهد ، والورع ، والإنصاف ، وقيام الليل ، والعبادة ، والفروسية ، والشجاعة ، والشدة في بدنه ، وترك الكلام في ما لا يعنيه . . . حتى أجهدهم العد .

العلم والسلطان :

ولقد قدَّر الناس عبد الله بن المبارك وزادت مهابته لديهم على مهابة هارون الرشيد . روى أن هارون الرشيد قدم ذات يوم إلى " الرقَّة " بالعراق ، فوجد الناس يجرون خلف عبد الله بن المبارك ، لينظروا إليه ، ويسلموا عليه ، فنظرت زوجة هارون الرشيد من شباك قصرها ، فلما رأت الناس قالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم من خراسان قدم " الرقَّة " يقال له " عبد الله بن المبارك " . فقال هارون : هذا والله الملك ، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بالشرطة والأعوان .

الوفاة :

وفي رمضان سنة ١٨١ هـ توفى ابن المبارك وهو راجع من الغزو ، وكان عمره ٦٣ عاماً ، ويقال : إن الرشيد لما بلغه موت عبد الله ، قال : مات اليوم سيد العلماء .

الفضيل بن عياض

توبة الزاهد :

كان عاصياً فتاب الله عليه ، وجعله من عباده المؤمنين ، تحوَّل من قاطع طريق يروِّع الآمنين إلى عابد زاهد ، وكان سبب توبته ؛ أنه كان يتسلق جدران أحد المنازل بالليل ؛ فسمع صوتاً يتلو قوله تعالى : (**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**) [الحديد : ١٦] ، فلما سمعها قال : بلى يا رب ، قد آن ، فرجع فمر على أرض خربة ، فوجد بها قوماً ، فقال بعضهم : نرحل ، وقال بعضهم : ننتظر حتى نصبح ، فإن الفضيل يقطع علينا الطريق ، قال (أي : الفضيل) : ففكرت وقلت : أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني !! وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع (أي لأتوب وأرجع إليه) اللهم إني قد تبت إليك ، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام . لقد جعل مظاهر توبته مجاورته لبيت الله حيث الرحمة والبركة ، يدعو الله ويستغفره ، ويندم على ما فرَّط في حقه .

مجاور مكة :

وبعد توبة الفضيل بن عياض ، رحل إلى كوفة في العراق ، فسمع الأحاديث النبوية الشريفة والفقه من العلماء ؛ أمثال الأعمش ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وجعفر الصادق ، فأثرت تأثيراً كبيراً في شخصيته ، حتى أصبح من الزهاد الذين يرون أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، ولا تستحق أن يتكالب الناس عليها ، ويتصارعون من أجلها ، فهي فانية زائلة ، بل الأولى أن يعمل الناس لأخراهم ، فهي الباقية الدائمة بفعل الخير ، وتجنب المعاصي . ثم انتقل إلى مكة وأقام بها حتى تُوفي .

فضيل الباكي :

وكان إذا خرج في جنازة مع الناس ، يعظهم ويذكِّرهم بالآخرة ؛ حتى إذا وصل إلى المقبرة ، جلس في حزن شديد ، وظل يبكي ولا ينقطع بكاؤه .

صفات المؤمن :

سأله الخليفة " هارون الرشيد " ما صفات المؤمن أيها الزاهد ؟ فقال له الفضيل : صفات المؤمن صبر كثير ، ونعيم طويل ، وعجلة قليلة ، وندامة طويلة .

الغِنَى الحقيقي :

ومر الفضيل بن عياض على جماعة أغنياء ، فوجدهم يلعبون ويشربون ويلهون ؛ فقال لهم بصوت عال : إن مفتاح الخير كله هو الزهد في الدنيا ، وقد سأله أحدهم : وما الزهد في الدنيا ؟ فقال : القناعة والرضا وهما الغنى الحقيقي ، فليس الغنى في كثرة المال والعيال ، إنما الغنى غنى النفس بالقناعة والرضا في الدنيا ، حتى نفور في الآخرة ، ثم توجه إلى الله داعياً : اللهم زهِّدنا في الدنيا ، فإنه صلاح قلوبنا وأعمالنا وجميع طلباتنا ونجاح حاجتنا .

بين الفضيل وهارون الرشيد :

وحج هارون الرشيد ذات مرة ، فسأل أحد أصحابه أن يدله على رجل يسأله ؛ فدله على الفضيل ، فذهبا إليه ، فقابلهما الفضيل ، وقال للرشيد : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا أناساً من الصالحين فقال لهم : إني قد ابتليت بهذا البلاء (يعني الحكم) فأشيروا عليّ . فعدّ عمر الخلافة بلاء ، وعددتها انت وأصحابك نعمة ، فبكى الرشيد ، فقال له صاحب الرشيد : ارفق بأمير المؤمنين . فقال الفضيل : تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ؟ (يقصد أن عدم نصحه كقتله) ، فقال له الرشيد : زدني يرحمك الله . فأخذ يعظه وينصحه ، ثم قال له : يا حَسَنَ الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاشٌ لهم إلا حرَّم الله عليه الجنة " [**متفق عليه**] ، فبكى هارون وقال له : أعليك دَيْن أقضيه عنك ؟ فقال : نعم ، دَيْن لربي لم يحاسبني عليه ، والويل لي إن ناقشني ، فالويل لي إن لم ألهم حجتي ، قال هارون : إنما أعني من دَيْن العباد .

قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ؛ أمرني أن أصدق وعده ، وأطيع أمره . فقال الرشيد : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادة ربك . فقال الفضيل : سبحان الله ، أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ، سلَّمك الله ووفَّقك ، ثم صمت فلم يتكلمْ ؛ فخرج الرشيد وصاحبه .

تواضع الزاهد :

وكان الفضيل شديد التواضع ، يشعر دائماً بأنه مقصر في حق الله ، رغم كثرة صلاته وعبادته.

وكان يقول في مرضه : اللهم ارحمني بحبي إياك ، فليس شيء أحب إليَّ منك .

وفاة الفضيل :

وأقام الزاهد العابد الفضيل بن عياض "بمكة" حتى توفى عام ١٨٧ هـ ، وأطلق عليه هناك : شيخ الحرم المكي .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على إمام المربين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي ، هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا مؤخرا بإنشاء هذا القسم الهام .. والذي نسأل الله أن يكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة هذا الجيل الفريد..

فإلى أشبال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد.